

اندرينه كريستون

مكاشكال
حياته - فلسفته - منخبات

ترجمة

نهار رضا

مجاز في الادب والفلسفة من جامعة باريس
دبلوم في العلوم السياسية

المنشورات عويدات
بيروت - بكاريس

بانشکال
مجله . فلسفه . منتخبات

جميع حقوق الطبعة العربية في العالم محفوظة للدار
منشورات عويدات
بيروت - باريس
بموجب اتفاق خاص مع المطبوعات الجامعية الفرنسية
Presses Universitaires de France

الطبعة الثالثة ١٩٨٢

البيروت

حياته

« ولد أخي في كليرمون في التاسع عشر من شهر
 حزيران عام ١٦٢٨ . وكان والذي يُدعى إثيان
 باسكال وكان يشغل منصب رئيس « ديوان المحاسبة » .
 أما أمي فكانت تسمى أنطوانيت بيغون . وما أن
 أصبح أخي في سن تسمح بمحادثته حتى ظهرت عليه
 بوادر النجاسة الفكرية . وقد تجلّى ذلك في سرعة خاطره
 وردوده التي كان يقوم بها في الوقت المناسب ، ولا سيما
 في الاسئلة التي كان يوجهها مستفسراً عن ماهية الأشياء .
 فكانت البداية مبشرة بالأمل الحسن ، ولم تجد قط ما
 يكذبها مع مر الزمن . فكلما تقدمت سنه قوي تفكيره
 حتى ليتمكن القول ان مستواه الفكري كان دائماً أعلى من
 عمره الحقيقي » .

بهذه الكلمات استهلت شقيقته الكبرى جيلبرت
 « حياة باسكال » . وقد كتبت هذه الترجمة biographie
 بعيد وفاة أخيها ، من أجل طبعة كتابه « خواطر »

التي كانت جماعة « بور رويال » تعتبر هذه الترجمة مرشداً
ثميناً لمن يود معرفة بليز باسكال .

أصيب بليز وهو ابن عام بمرض مجهول استمر اثني عشر
شهراً تقريباً . فكان يتعرض للشنجات ويحس بكبره
غامضٍ للواء ، ولا يستطيع تحمل وجود
والده ولا أمه . وبذلت الأخيرة قصارى جهدها في
العناية به ، وفي هذه الفترة المصيبة انجبت طفلة ،
جاكلين ، ارتبطت حياتها ارتباطاً وثيقاً بحياة أخيها
ثم توفيت الأم واهنة مكدودة عام ١٦٢٦ وكان عمر
ابنها آنذاك ثلاث سنوات . لئن فقد بليز حنان
الأمومة فإنه لم يحرم رقة الأنوثة . فقد ترعرع بين
شقيقتيه وفي حى شخص موثوق حاول ان يحتل مقام
الأم التي فارقت الحياة في وقت مبكر .

تعلق الأب ، إتيان باسكال ، بأولاده بعد وفاة
زوجته اكثر من ذي قبل ، وصمم على ان يقف نفسه
للسهر على تربيتهن : إلا أن مهمته كرئيس لديوان المساعدة
في مونفيران كانت تستأثر بالقسط الأعظم من وقته ؛
لذلك باع منصبه عام ١٦٣٠ وانتقل في العام التالي الى
باريس ليقطن فيها . وكان وضعه المالي يسمح له بتنظيم

حياته وفق مشيئته .

أقامت الأسرة في البدء في شارع « لاتييرا انديري »
ثم انتقلت عام ١٦٣٦ إلى شارع « بريزميش » في سان
ميري . وانصرف « إتيان » انصرفاً تاماً إلى المهمة التي
أخذها على عاتقه ، ولا سيما السهر على تربية ابنه ، بعد
ما تبينت له عبقريته الناشئة . « كانت قاعدته الأساسية
ان يجعل ولده فوق مستوى المواد . لذلك لم يرغب قط
ان يشرح بتدريسه اللغة اللاتينية قبل الثانية عشرة ،
بأمل ان يتعلمها بمزيد من اليسر » ؛ ولم يكن يرغب في
تدريسه الرياضيات قبل الخامسة عشرة او السادسة
عشرة . وبناء على مخططة التربوي المدروس شرع باعطاء
ولده نظرات اجمالية ومعلومات عامة حول بعض
المواضيع الكبرى . « فكان يبين له بوجه عام ما هي
اللغات ، ويبين له انها تخضع لقواعد نحوية ، وان لهذه
القواعد استثناءات » . وكان في الوقت نفسه يلفت
انتباهه الى ظواهر الطبيعة وما فيها من أشياء مدهشة
كالبارود وغيره .

أما باسكال فكان يريد ان يعرف علة كل شيء . ولم
يكن ليكتفي بالردود المقتضبة والاجوبة المتهرية . ولم

يكن طرح الأسئلة يكفي حبه للمعرفة بل كان يبحث
بنفسه عن الحلول . صحيح ان والده قرر ان لا يتحدث
عن الرياضيات قبل الخامسة عشرة ، بيد ان بليز كان
يسأل والده عن هذه المواضيع فكان الأخير يرفض
الأجابة . وذات يوم رأى ابنه منهمكاً في البرهنة على
القضية رقم ٣٢ من كتاب اقليدس الأول ، وهي القائلة
بأن مجموع زوايا المثلث مساوٍ لزاويتين قائمتين .

كيف توصل بليز الى طرح هذه المسألة ؟ ها هو ذا
الطفل النابغ يقول لوالده انه وجد آنفاً كيت وكيت ،
فأعجب إتيان بعظمة هذه العبقرية المبكرة وروى
الحادث لصديقه ليباور . وقر قرارهما على ان يعطياه
« مبادئ اقليدس » ليطالعا في ساعات الفراغ .

ولم يكن إتيان يهمل شؤون ابنتيه ، فقد كان هناك
ما يدعو الى الاعتزاز بهما ، ولا سيما ابنته جاكلين . فهي
لم تكن ظريفة كيسة فاتنة فحسب ، بل كانت أيضاً
تتمتع بذهن حي وفكر أصيل ، كما كانت تقرأ الشعر
بسهولة ويسر . وقد ألقت في الحادية عشرة ملهاة من
خمس فصول طافت صالونات باريس . وتوطدت بين
بليز وجاكلين مشاعر الألفة ، في حين كانت الأخت

الكبرى مرغيت تنهض بدور الأم .

صحيح ان « إتيان » كان يقف وقته لرعاية شؤون أولاده ، بيد أنه لم يكن يرغب في الانطواء والابتعاد عن المجتمع . كم مرة رأى شارع بريزميش الاجتماعات تعقد لبحث المسائل المدرجة في جدول الأعمال : خاصة المسائل العلمية ولا سيما الرياضيات . وكان من جملة الرواد روبرفال ، الأب مرسين ، فيرما ، ديزارغ ، وكلهم من مشاهير الرياضيين .

وقد 'قبل بليز ، على حادثة سنه ، في هذه الحلقات العلمية ! « كان على قدر المقام ، وفي أغلب الأحيان كان في عداد الذين يأتون بالجديد المبتكر » . ولما كان يحيد في الهندسة الحقيقة المنشودة ، فقد كان يقضي ساعات الفراغ منصرفاً الى هذا العلم . وفي السادسة عشرة ألف كتاباً اسمه « بحث في المخروطات » أدهش الرياضيين الذين كانوا يجتمعون عند والده .



لما باع « إتيان » منصبه في كليرمون وظف أمواله في وثائق دخل على القصر البلدي في باريس . إلا ان

الحالة المالية كانت في آذار ١٦٣٨ في وضع سيء مما أجبر على إلغاء ربع وثائق الدخل . حينئذ ذهب عدد من أصحاب وثائق الدخل الى حامل الاختام سيفيه واحتجوا لديه احتجاجاً شديداً ، فزج ريشليو ثلاثة من المرضى في سجن الباستيل ؛ أما الآخرون فرأوا ان الحيلة تتطلب منهم الاختفاء ، وكان من جلتهم إتيان الذي سار بعيداً في المحاولة . وفي أيلول من العام نفسه أصيبت جاكليين بالجذري ، فلم يتردد والدها في العودة ولازمها حتى زال عنها شبح الخطر . وما أبلت من مرضها حتى ذهب ليلتجئ في الأوفيرني مغلخاً أولاده في باريس . وفي العام التالي اتبعت لجاكليين فرصة تمثيل ملهاة أمام الكاردينال ريشليو ، فأجادت في تمثيلها لدرجة انها نالت الصفح عن والدها . وبعد فترة قصيرة استقبله ريشليو في روائي وعينه مندوباً للملك في روان .

ذهبت كل الأسرة إذن الى النورماندي وبصحبتها السيد بيريه الذي تزوج جيلبرت في العام التالي . وكان عمرها آنذاك واحداً وعشرين عاماً . ونظراً الى منصب إتيان الرفيع أصبح صالونه من أهم الصالونات وغالباً ما

كان يحضر إليه كورناي الذي أظهر اهتماماً كبيراً بمحاولات
جاكلين، الشعرية . أما بليز فكان يتابع دراسته ويعمل
في نفس الوقت مع والده . وتجنباً للحسابات الطويلة
عنت له فكرة صنع آلة حاسبة « تجري بها جميع
الحسابات بغير ريشة ، ليس هذا فحسب بل تجري
أيضاً دون ان يلم الشخص بأي قاعدة حسابية وتكون
النتائج معصومة من الخطأ » .

إعتباراً من هاتيك الآونة ساءت صحة بليز . هل
كان ذلك بسبب الجهود التي بُذلت في تصميم هذه الآلة
كما ذكرت أخته ، أم بسبب ضعف وراثي ؟ مهما يكن
من أمر فان بليز لم يقض يوماً واحداً دون ألم منذ
الثامنة عشرة . ولكن « ما ان يحظى بلحظة راحة
حتى كان فكره ينصرف للبحث عن شيء جديد » .

وفي كانون الثاني ١٦٤٦ سقط اتيان والمخلع فحذه .
فجاءه الأخوان ديشان للعناية به . وجرت بين الطرفين
خلال فترة النقاهة محادثات طويلة . ونصحه الأخوان
بمطالعة بعض الكتب ولا سيما «مقالة الراهب جانسينيوس
في الاصلاح الداخلي» . وقرأ بليز أيضاً هذا الكتاب
فتأثر به تأثراً شديداً . كانت تعاليم جانسينيوس تتفق

ومزاجه وتتجاوب وأهواءه: فقد كان من أولئك الذين يفتنون بالواجب . وإذ أدرك استحالة التوزع بين الله والعالم، صمم على أن يقف حياته لله وان يعمل لمرضاته .



بعد ما اتخذ بليز هذا القرار سارع الى حث اهله على الدخول معه في هذه الطريق ، طريق الخلاص الحقيقية . وكانت اخته جاكلين « اول من قرر التخلي عن جميع الامتيازات لتقف نفسها كلياً للباري تعالى » . وتبعها الوالد الذي لم يتردد في الازعان لتعاليم ابنه ، ثم مرغريت بيريه وزوجها اللذان جاءا من باريس واقتنعا بسهولة . ووضعت الاسرة نفسها تحت اشراف غيبير خوري أبرشية اقليم كو . وعن طريقه احتكت الاسرة فيما بعد بدير بوررويال . الا ان ازدياد تقوى الاسرة ، وتحمس باسكال للأفكار الرسولية لم يمنع الأخير من متابعة أبحاثه العلمية .

ففي تشرين الاول ١٦٤٦ جاء السيد بيتي ليري إتيان، وتحدث عن التجربة التي أجريت في إيطاليا حول الفراغ ؛ كان المبدأ السائد يقول بكره الطبيعة للفراغ .

وبمساعدة بيتي اعاد باسكال التجربة واخترع تجارب
اخرى . وفي العام التالي نشر تقريراً عن اعماله تحت
عنوان : « تجارب جديدة بخصوص الفراغ » .

إلا ان مرضه اشتد ، واصيب القسم السفلي من
جسمه بالشلل . ولم يعد يسير الا متكئاً على عكازتين .
واكبر الظن انه الف آنذاك « الابتهاال الى المولى بحسن
الاستفادة من الاسقام » . وقد ساعدت العناية الحسنة
على التخفيف من آلامه . وبناء على طلب الطبيب ، ذهب
الى باريس مع اخته جاكلين للتداوي . وكان وقته موزعاً
بين التداوي والتقوى والابحاث العلمية والمحادثات مع
الاصدقاء . واستقبل ديكارت^(١) مرتين . وقد زعم الاخير
فيما بعد انه هو الذي اوحى لباسكال بتجاربه في توازن
السوائل . وعمل باسكال على ادخال بعض التحسينات
على آلة الحاسبة ، واستمر في دراساته عن الفراغ ، وقام
بتجارب مقنعة ، احدها في برج سان جاك بباريس

(١) اقرأ مدخل الى فلسفة ديكارت للدكتور كمال الحاج -
تأملات ميتافيزيقية لرنيه ديكارت (النص العربي مع النص الفرنسي)
سلسلة : المكتبة الفلسفية رقم ٥ و ٦ « منشورات عويدات »

والاخرى في بوي دي دوم بفضل عناية صهره بيريه .
اما كتابه « بحث في الفراغ » فلم يُنشر ولم يُعثر الا على
بعض اقسامه . ولما انتقده احد اليسوعيين ، الأب
نويل ، اجابه بقلم فيه 'نفائة تنبىء عن كتابه المقبل :
« الرسائل الريفية » .

منذ وصوله الى باريس ، حضر باسكال في انتظام
كبير مع اخته جاكلين خطب السيد سانغلان واعظ
بور رويال . ورأت جاكلين انه يتحدث عن الحياة
المسيحية « بحديث يتفق مع الفكرة التي كونتها في
نفسها » فارادت ان تدخل الى بور رويال . ولقي
قرارها تأييداً من اخيها الذي تكفل باطلاع والدها .
الا ان إتيان رفض اعطاء الموافقة ، وكي يبدل مجرى
افكار اولاده اصطحبهم الى الأوفيرني عند آل بيريه .
وازدادت جاكلين تقشفاً واعتكافاً بينما ازداد اخوها
يميل الى حياة اللهو والتسلية بتشجيع من والده ومن
الاطباء . فاشترك في اجتماعات علمية عديدة وانغمس في
حياة المجتمع .

استمرت الإقامة في كليرمون سبعة عشر شهراً .

وفي ايلول ١٦٥٠ عادت الاسرة كلها الى باريس لتقيم في شارع تورين . وهنا استمر باسكال في حياته الاجتماعية التي عاشها في كليرمون ، وعقد الصلة مع عدد من الاشخاص « المتشربين بالروح الاجتماعية » : الدوق دي روانيز الذي تعلق اشد التعلق بباسكال ، ودي بارو الذي كان يميل الى التقى حالما تتوعك صحته قليلا ، ومدام ديغيون ابنة اخ ريشليو .

وفي ٢٤ ايلول ١٦٥١ توفي والده . وكانت نهايته مسيحية لدرجة ان خوري الابرشية اشد به على المنبر . وتأثر باسكال تأثراً شديداً وتلمس العزاء في الإيمان . وهاله ما ينتظره من شعور بالوحدة وود لو أبقى اخته جاكلين قربه ، على الاقل خلال فترة من الزمن . لكن حالما وقّع على تقسيم الاموال قررت جاكلين السير حسب استعدادها . وبعد خلوة دامت بضعة اشهر لبست ثياب الرهبنة عام ١٦٥٢ . وما انتهت الفترة التمهيديّة حتى دخلت نهائياً في سلك الرهبنة في ٥ حزيران ١٦٥٣ . ويبدو ان بعض القضايا المالية المتعلقة بالإرث خلقت بعض البلبلة في علاقة الاخ بأخته ، إلا ان باسكال تصرف في النهاية تصرفاً بدد الغيوم ، وأمن لأخته

بأئنة مناسبة لدخول بور رويال .

وعلى حين وقفت الاخت نفسها كلياً لله ، أعرض بليز عن امور الدين وانصرف الى أمور الدنيا . ولئن وجد في مزاجه وتربيته الدينية عاصماً عن بعض الميول ، فقد انساق مع حبه للعلم وعاد الى الصداقات المجتمعية . ولعله يجب ان نبحت عن سبب هذا التطور في الفراغ الذي خلقه ذهاب جاكلين ، وربما ايضاً في تحسن حالته الجسدية بصورة موقتة . وأغلب الظن انه كتب آنذاك « مقالة في اهواء القلب » . وقد عثر عليها فكتور كوزان في المكتبة الملكية ولكن يُشك في صحتها .

هكذا عاد نشاطه العلمي الى الظهور عام ١٦٥٤ . فكتب بحثيه القصيرين : « في توازن السوائل » و « في ثقالة كتلة الهواء » . وهذان البحثان . مستخلصان من كتابه « بحث في الفراغ » الذي لم يصل الى ايدينا . ونشر في نفس الوقت كتابيه : « بحث في المثلث الحسابي » و « بحث في ترتيبات الاعداد » . وجرت بينه وبين فيرما مراسلة نشيطة بخصوص نظرية الاحتمالات .

اما أخته جاكلين فكانت « تأسف لرؤية الشخص الذي بصرها بعمدية الحياة الدنيا ينغمس في نعيمها الباطل » .

وغالباً ما كانت تحثه على الإعراض عنها الا ان الساعة لم تكن بعد قد أزفت ؛ فكان باسكال يستمع اليها ومع ذلك « كان لا يكف عن المضي في مشاريعه » . بيد ان زياراته العديدة لأخته ، ومحادثاته الطويلة معها ، وربما ازدياد حالته الصحية سوءاً ، كل هذه العوامل جعلته ينظر الى الامور نظرة جديدة تماماً . وكما يقول بوترو : « أحس بعظم التفاوت بين وضعه ومصيره » . فأكثر من محادثاته مع اخته « وأصبحت هذه المحادثات متكررة طويلة ، فيما تقول اخته ، بحيث صار يُخيل إلي انها عملي الوحيد » .



وفي ٢٣ تشرين الثاني ١٦٥٤ ، غداة سماعه لوعظ السيد سانغلان ، اومض في نفسه ضوء عجيب ونور غريب . حتى لكأنه ضياء علوي شاع في ارجاء نفسه مدة ساعتين . ورأى الحضرة الربانية وأحس بجلالها السنية : وكى يحتفظ بما أوحى اليه من افكار سارع الى تسجيلها على قطعة من الرق ووجدت على ثيابه بعد وفاته . اصطفى باسكال مرشداً . ونصحه سانغلان بالاختلاء في دير بور رويال دي شان . وعهد به ، خلال هذه

الخلوة ، الى السيد دي ساسي . ودار بينهما الحديث ذات يوم حول إبيكتيت و موتثاني^(١) . وسجل فونتين ، مساعد دي ساسي ، ما قيل بحسب املاء باسكال في اغلب الظن . ويتميز النسخ بشيوع الحيوية حتى ليخيل إلينا اننا نسمع كلام باسكال في « محادثة السيد دي ساسي حول إبيكتيت و موتثاني » .

وكما حاول في فترة توبته الاولى ان يقنع اخته وأباه وجميع افراد أسرته ، كذلك حاول في هذه المرة ان يهدي الى سبيل الله اصدقاءه امثال الدوق دي روانيز ، دوما ، وغيرهما . وتخلّى عن ابجائه العلمية ليحصر تفكيره ويضع مؤلفاً كبيراً يفهم الملحدّين ويهديهم الى الدين : « تقرّيط المسيحية »^(٢) . غير ان مديري بور رويال طلبوا اليه ايجاد طريقة جديدة لتعليم الاطفال القراءة ، وان يضع مؤلفاً في الهندسة الابتدائية . وفي حوزتنا

(١) اقرأ موتثاني : حياته ، فلسفته ، منتخبات .
سلسلة : زدني علماً رقم ٢١ « منشورات عويدات »
(٢) لقد دونت الملاحظات على اوراق وسميت فيما بعد
« الخواطر » .

مقطعان منه تحت عنوان « في الفكر الهندسي » بيد
ان تنفيذ جميع مشاريعه قد تأخر .

وفي كانون الثاني ١٦٥٥ 'منعت مناولة القربان
المقدس عن السيد دي ليوكور لأنه عهد بتربية ابنه
الصغير الى دير بور رويال . حينئذ نشر أرنو ، احد
مديري بور رويال ، رسالة اولى موجهة الى احد النبلاء
بخصوص هذه القضية . فهاجم اليسوعيون هذه الرسالة
بعنف ؛ فاجاب بقوله : ان السدة الرسولية شجبت
قضايا جانسينيوس الخمس وهو يمثل لهذا الامر ، ولكنه
لفت الانتباه الى ان القضايا المشجوبة غير واردة في
كتاب جانسينيوس . فأحيل أرنو الى كلية اللاهوت .
فأدانت هذه الكلية ارنو ، مدعومة بالحكومة وخاصة
باليسوعيين ، وذلك بعد مناورات دفعت راسين لأن
يقول بأنه لم يصدر قط حكم اقل شرعية من هذا الحكم .
لم تكن إدانة أرنو تتناول سوى الوجه الواقعي ؛
اما من الوجه القانوني فكان يُعتقد ايضاً في بور رويال
بصحة الادانة ، ورجوا أرنو ان يعرض القضية على
الجمهور الذي كان يهتم بالمسألة دون ان يعرف جميع
عناصرها ؛ فكلّف باسكال بأن يؤلف شيئاً من اجل

الجمهور ، فوضع « رسالة اولى موجهة الى ريفي من احد
اصدقائه » ونشر هذه الرسالة في ٢٧ كانون الثاني ١٦٥٦
تحت اسم « لوي دي مونتال » المستعار . وبعد اربعة
ايام ادان السوربون أرنو ورفع اسمه من قائمة اللاهوتيين ،
وفي ٥ شباط صدرت الرسالة الثانية ، وبعد اسبوع
نشرت الثالثة ، وتلتها الرابعة بعد بضعة ايام .

رغم مساعي أرنو وتفسيراته ، اضطرت جماعة
بور رويال الى التفرق وأغلقت مدارسهم بناء على قرار
ملكي . وكان في عدادهم مرغريت بيريه المصابة بنزيف
دمعي . وفي ٢٤ آذار كان جميع اهل الدير يتقربون من
شوكة مأخوذة من بقايا اكليل المسيح ، وكانت قد
اعيدت لهم من قبل احد الآباء ، وكان هذا الاخير
يحافظ عليها في كنيسته الخاصة . ولما جاء دور
مرغريت للركوع مست الشوكة المقدسة عينها فشفيت
في الحال . وفي الايام التالية ، حدثت معجزات مماثلة
دفعت الى الاعتقاد بأن الله اصطفى بور رويال بمحبته ،
لان الشوكة المقدسة لم تسبب مثل هذه الحوادث من
قبل . نتيجة لذلك ، تمكن اهل الدير من العودة الى
بور رويال دي شان ، واستمرت مدارسهم في العمل .

غير ان باسكال رأى في معجزة الشوكة المقدسة وفي شفاء
مرغريت نذيراً ربانياً موجهاً اليه شخصياً ، ورأى فيه
ايضاً نوعاً من الاستحسان لكتاباتة . حينئذ ضاعف
هجماته واصدر الرسالة الريفية الخامسة الموجهة ضد
اخلاق اليسوعيين ، واصدر تباعاً خمس رسائل اخرى .
وبعدما حمل على مذهبهم الاخلاقي هاجم سياستهم في
الرسالة التالية . وكي ينفي عن بور رويال تهمة البدعة ،
كتب في كانون الثاني وآذار ١٦٥٧ رسالتيه الريفيتين
الاخيرتين .

لقد جعلت هذه الحملة قسماً كبيراً من الناس وعدداً
كبيراً من قساوسة اسقفية باريس يناصرون بور رويال ،
ولكنها لم تحل دون إدانة الراهب جانسينيوس إدانة
صريحة . واعتُبرت الرسائل الريفية كـ « كتاب قدح
وذم يُمنع بيعه وترويجه ويتعرض المخالف للأشغال
الشاقة » .

قلنا ان باسكال نشر الرسالة الريفية تحت اسم مستعار
خوفاً من التعرض لانتقام خصومه الاقوياء ، وللسبب
نفسه اضطر الى تبديل مسكنه عدة مرات في ١٦٥٥ ثم
في ١٦٥٦ ، فسكن تباعاً « خارج باب سان ميشال

وعلى مقربة منه ، ثم في شارع بواريه .

اجتذبت معجزة الشوكا المقدسة افواجا غفيرة الى
بور رويال . وكان من جملة من اتى للتنسك والعبادة
الآنسة دي روانيز شقيقة الدوق دي روانيز ، صديق
باسكال . كان عمرها ثلاثة وعشرين عاماً وحتى هاتيك
الآونة لم يمكن تفكيرها متجهاً إلا الى الدنيا . ولما خطر
ببالها ان تصبح راهبة فاتحت باسكال بالأمر . ولقي
مشروعها معارضة شديدة من امها فذهبت الى بواتو
حيث استمرت في مراسلة باسكال متحدثه اليه عن
استعدادها الكامن . ولسوء الحظ لم يبق في ايدينا الا
قسم من رسائل باسكال التي كانت الآنسة دي روانيز قد
حافظت عليها . وكان من عاداتها الرجوع الى قراءتها لما
عادت الى الحياة الاجتماعية وتزوجت بعد وفاة باسكال .
وقد عاشت حياة كثيبة جعلتها تأسف غالباً لانها لم
تسر مع استعدادها .

كان باسكال يتمتع بأهلية حقيقية لتوجيه النفوس .
وغالباً ما كان يقع على « اشخاص عظمي الفكر كبيرى
القدر يستشيرونه في الخلوة ويتقيدون بنصائحه . كما
كان هناك آخرون تراودهم الشكوك في مسائل الدين ،

يقصدونه للمشورة وينصرفون راضين دائماً . وتجنباً
لارتكاب الخطأ بدافع الكبرياء ، كانت يتمنطق بحزام
شائك يضعه على اللحم مباشرة . وكلما « احس بالزهو
كان يضرب نفسه بمرفقه ليضاعف شدة الوخز ويتذكر
واجبه » .

هذا التعذيب لم يكف هذه النفس القلقة للسير قدماً
في طريق الرب ، فنشد الفاقة اقتداء بالمسيح ، وأعرض
عن كل ما يجب ، ولم يرغب في ان يكون موضع اهتمام
كبير . كان يقول : « لست غاية احد ، لأن مصير
الموت » واعتبر العلوم اموراً باطلة . ولم يعد يُكرمها
الا بمقدار ما تفيد في تنشيط تقواه . وازدادت حالته
الصحية سوءاً ، وانتاب رأسه الصداغ المستمر ، ولكنه
رضي بهذه الحالة في استكانة بل في سعادة ، لانها تقربه
من الله .

وذات يوم ، فيما تقول مرغريت بيرييه ، أصيب بآلام
شديدة في الاسنان منعه من النوم . « وفي ساعات
'سُده عنت له فكرة بخصوص الدائرة الدوارة » .
وخلال بضعة ليال ، انتقل من فكرة الى فكرة ، الى ان
اكتشف حل المسألة التي كان الاب مرسين قد طرحها

كانت هذه المسألة تتعلق بموضوع معادلة الدائرة الدوارة
 La quadrature de la roulette او منحني الدائرة
 Cycloïde . (تطلق هذه التسمية على المنحني
 الذي ترسمه نقطة من دائرة تدور على خط مستقيم^(١)) .
 ولو ان الدوق دي روانيز لم يُبين له ضرورة اعلان نتيجة البجائه
 في مصلحة الدين وليثبت للملحدين انه يعلم على الاقل بمقدار
 علمهم في كل الامور التي يمكن البرهنة عليها ، نقول لو ان
 الدوق لم يفعل ذلك لترك باسكال ثمرة تأملاته تضيع . وإحاطة
 القضية بدوي عظيم ، نظم باسكال بناء على ما اسدي
 اليه من نصح مسابقة مشفوعة بجائزة مالية 'تقدم الى من
 يهتدي الى الحل . لكن لم يتمكن اي فرد من اعطاء الحل
 الكامل . حينئذ نشر برهانه وقد كتبه في ثمانية عشر
 يوماً . وكان اثنان من عمال المطابع يصفان الحروف كلما
 بعث اليهم بالمواد الجاهزة للطبع . ولقد استعمل في حله
 طرقاً تسمح لنا بأن نقول بأنه كان احد مكتشفي حساب
 التكامل والتفاضل . ووضع باسكال ايضاً مشروعاً للنقل
 المشترك في مدينة باريس ، وكان بوده تخصيص ارباح هذه

(١) دون ان تنزلق - المربع .

العملية لفقراء « بلوا » . وسارت القضية في البدء سيراً
حسناً ، إلا ان معارضة بعض ذوي المصالح اسقطت
المشروع .



في ٩ آذار ١٦٦١ توفي مازاران. وبعد موته ببضعة
ايام عادت الاجراءات الصارمة ضد بور رويال الى
الاشتداد . وكانت قد توقفت تماماً بعد معجزة الشوكة
المقدسة ، ربما بناءً على تدخل الملكة والكردينال ؛
وبعد إدانة جانسينيوس أُعد بيان كان على كل اهل
بور رويال ان وقعوا عليه اظهراً للموافقة الجميع على
الإدانة . فرضخ بور رويال باريس نزولاً عند نصيحة
أرنو ، إلا ان بور رويال دي شان أبدى مقاومة ولا سيما
جاكلين باسكال التي كتبت « بما ان للمطارنة شجاعة
النساء فينبغي للنساء ان يتحلين بشجاعة المطارنة » .
ولكن بناء على تدخل فئات عديدة وقعت على البيان
بعكس رغبتها ، وتوفيت بعد ثلاثة اشهر في السادسة
والثلاثين . كانت جاكلين احب شخص الى قلب باسكال ؛
فلما علم بوفاتها اكتفى بقوله : « فلينعم علينا المولى بمثل
هذه الميتة الصالحة » .

بعد توقيع البيان ، اراد اعداء بور رويال مزيداً من الإذانة لجانسينيوس ولبدأ العون الفعال . حينئذ أبى باسكال قبول ما يعتبره مخالفاً للصدق المسيحي : يجب ان نطيع الله دون ان ندخل ذبول طاعتنا في الحسبان . ولكن جرت تخطيطة باسكال في مناقشة جرت بينه وبين أرنو ونيقول وغيرهم من سادة بور رويال . وكان باسكال قد بذل مجهوداً كبيراً للتغلب على مرضه وحضور الاجتماع ، وأغشى عليه وفقد وعيه لما رأى « تزعزع اولئك الذين حباهم الله بمعرفة الحقيقة ويتحتم عليهم الدفاع عنها » .

وازدادت حالته الصحية سوءاً . « واستمرت اسقامه دون انقطاع » . ولم يعد قادراً على العمل ولا على رؤية احد ، وأخضع لنظام صارم ، وتقبل كل ما طلب اليه تناوله رغم « ما كان يشعر به من اشمزاز » . « وعُني في استمرار بكبح حواسه ، وتضاعف احسانه على الفقراء . وقبل وفاته بثلاثة اشهر ، صادف فتاة طلبت اليه صدقة . وكانت قد فقدت أباه ، ودخلت امها مستشفى اوتيل ديو . فمهد بها الى احد المطارنة وضمن معيشتها مع اخفاء اسمه . كما استضاف في بيته « رجلاً بسيطاً مع

زوجته واولاده وأعطاهم غرفة وقدم لهم الحطب لوجه
الله لا يريد منهم جزاء ولا شكوراً .

بعد مضي ثلاثة ايام على اقامته عند شقيقته ، اصيب
بآلام مبرحة في الامعاء لم يكن ليوقفها شيء . حينئذ
اعترف واراد تناول القربان المقدس . فمنعه الاطباء
لانهم لم يكونوا يرغبون في السماح له بالصيام . فطلب
حينئذ ان يُستدعى الى غرفته فقير مريض يلقي معاملة
كعاملته . ونظراً لاستحالة ذلك ، اراد ان يُنقل الى
مستشفى الامراض المستعصية على الشفاء ليموت بين
الفقراء . واشتدت آلامه وازداد صداعه . وفي السابع
عشر من شهر آب طلب اجراء فحص طبي ولكن دون
ان يسلم من الوسواس . فأكد له الاطباء عدم وجود اي
خطر فلم يصدق كلامهم ورجا ابنة اخته ان تخطر احد
رجال الدين ليقضي الليل بجانبه . وحوالي منتصف الليل
اخذته رعشة شديدة ، فخیل اليهم انه فارق الحياة ...
دون تناول اسرار القربان المقدس . الا ان الرعشة
توقفت ، كأنما بفعل معجزة ، وعاد الى وعيه التام .
وانه لفي هذه الحال إذ بالخوري يدخل مع القربان
المقدس قائلاً : « هوذا مبتغاك » . فنهض باسكال نصف

نهضة ، وإذ سأله الخوري عن اسرار الإيمان الاساسية
اجاب بقوله : « اجل يا سيدي أو من بكل ذلك .
وبكل جوارحي » . ثم تلقى المسحة الاخيرة *extrême*
onction - وشكر الكاهن وقال : « فليكن الله معي
دائماً » . وعادوته الرعشات واستمرت الى ان فاضت
روحه بعد اربع وعشرين ساعة في ٩ آب ١٦٦٢ في
الساعة الواحدة صباحاً . وكان عمره تسعة وثلاثين عاماً
وشهرين .

وقد كشف تشريح الجثة عن وجود غنغرينة في
الاحشاء . ولاحظ الاطباء ضخامة عجيبة في الدماغ ،
كما لاحظوا « قبالة البطينات علامتين ممتلئتين بدم نخر
فاسد مع بداية انتشار الغنغرينة » .

وفي وصيته كان باسكال قد كتب انه « يرغب في ان
يواري في كنيسة سانت إتيان دو مون في مدينة
باريس » . وفي يوم الاثنين ٢١ آب ، الساعة العاشرة
صباحاً، دفن بحسب مشيئته في كنيسة سانت إتيان
عند اسفل اول اعمدة المحراب .

اللبّ الشّاني

فلسفته

إذا كان الفيلسوف شخصاً يضع مذهباً متماسكاً
الأجزاء من جهة ، وقادراً على تقديم حل لكل المسائل
الممكنة من جهة أخرى ، فلا شك في أن باسكال ليس
بالفيلسوف . لكن إذا كان ، كما يقول إ. رينان « الفكر
المهتم اهتماماً قدسياً بكل شيء » ، والمفكر « مهما يكن
موضوع تفكيره » ، فليس باسكال فيلسوفاً فحسب بل
أيضاً أحد الذين يتميز انتاجهم حقاً بالحيوية والدلالة .
لا يمكننا ، فيما نعتقد ، أن نكون فكرة اجمالية
عن هذا الانماج ، إلا إذا ميزنا فيه قسمين : قسماً ، أن
صح القول ، أساسياً انتظمت حوله في نهاية المطاف أوضح
تأملاته وأجلى خواطره ، وقسماً ، أن صح القول ،
فريعاً يتعرض فيه لمواضيع بالغة التنويع ، بفطنة ورفعة
وبلاغة فريدة .

وفي هذا الكتاب سنهتم خاصة بالقسم الأساسي من
انتاج باسكال ، لأن الأجزاء الثانوية بغنى عن الشرح
والتفسير .

الفصل الأول

محور اهتمامه : الأخلاق

فلنحاول أولاً ان نستخلص محور اهتمامه .
لقد بين لنا باسكال ذلك بوضوح تام . ان المشكلة الاساسية بالنسبة الى الانسان هي ان يعرف كيف ينبغي له تنظيم سلوكه وحياته . فاذا ألم بكل شيء وجهل هذه النقطة ، فاز بالكالي وفاته الضروري . واذا حصل على هذه النقطة ولا شيء سواها ، ظفر بكنز يغنيه عن سائر الاشياء . « لن اجد في علم الاشياء الخارجية ما يعزيني عن الجهل بالاخلاق وقت المكاره ، ولكنني واجد لا محالة في علم الأخلاق ما يعزيني عن الجهل بالاشياء الخارجية » . فليس أهلاً بالاهتمام اذن إلا هذا العلم وحده

والواقع ان معظم الفلاسفة الذين أتوا قبل باسكال
ادركوا ذلك . ولكن ما الذي لم يتوفر لهم ؟

الفلاسفة القدماء

لقد تصدى الفلاسفة القدماء لهذه المسألة وحرصوا
على تعريف الخير الأسمى Souverain Bien بوسائل
عقلانية . فلم يصلوا إلا الى نتيجة واحدة : لقد أظهروا
باختلافهم في الرأي عجزهم التام عن حل هذه المعضلة .
ان باسكال يستعيد التعاريف العديدة والمتناقضة التي
اقترحها هؤلاء الفلاسفة ويبدى عجبه : « يقول أحدهم
ان الخير الأسمى في الفضيلة ، ويجعله الآخر في اللذة ،
والآخر في علم الطبيعة ، وغيره في الحقيقة ، وغيره في
الجهل التام ، وآخرون في مقاومة الظواهر ، وآخر في
عدم تأمل أي شيء . ويجعله المتشككون الحقيقيون في
السكينة والشك بلا انقطاع . ويعتقد غيرهم أنهم توصلوا
الى ما هو افضل . فيا لها من نتيجة ! » .

الفلاسفة الحديثون

اما الفلاسفة الحديثون فلم يكونوا اسعد حظاً .
ان مونتاني انتقد العقل الانساني انتقاداً ضرورياً ،

انتقاداً مرأ ، لكنه ضعف في ميدان علم الأخلاق . فهو يمتدح « الجهل والاعراض » ، والميل الى الحكم على الخير والشر بناء على الظواهر الأولى ، والاخلاص لسنة يجب اتباعها لا لشيء الا لأنها سنة . انها منتهى اللاأخلاقية ، في عُرف باسكال ، وهي جديرة بصواعق غضبه .

في حين يأمل ديكارت بان تُحل المسألة الأخلاقية عن طريق ميتافيزياء تسمح بوضع فيزياء ، تُفسح بدورها المجال لاقامة ميكانيك وطب وعلم أخلاق . ويجب الاكتفاء بأخلاق موقته ما دام هذا الأمر غير واقع . الا ان ديكارت يتميز في الوقت نفسه بأنه « عقيم وحائر » ومريب التقوى : « كان بوده لو استطاع الاستغناء عن الإله في كل فلسفته لكنه كان بحاجة إلى دفعة محرّكة » . فلنبتعد اذن عن امثال هذه الطرق .

وأما كبار ممثلي الأخلاق المسيحية فهم على حق في ان يكونوا مسيحيين ، غير ان بعضهم اعتقدوا ان عليهم ، لتسوينغ ايمانهم المسيحي ، ان يشيدوا بناء من المحاكات العقلانية المزعومة . وتصوروا ان لديهم ادلة فلسفية على وجود الله ، وخلود النفس ، وعلى الطابع القدسي للشعور الاخلاقي ، ومن ثم على ضرورة وجود

قاعدة سلوك معينة . وظنوا انهم يخدمون الدين بهذه الصورة ، بل ذهب نفر منهم الى ابعد من ذلك ، فلم يأملوا فقط بأن يجعلوا مع الديانة التقليدية مذهباً يؤمن بالله ولا يقول بوجود الوحي ، بل أملوا ايضاً ان يستمضوا عنها بالمذهب المذكور^(١) .

ليس من شك في ان الذين يسرون في هذا الاتجاه هم من ذوي النية الحسنة . بل ليس من شك في ان بعض ادلتهم كافية بالنسبة الى اولئك الذين كانوا مقتنعين سلفاً لأن قلوبهم عامرة بالايمان . لكن ما قيمتها بالنسبة الى الملحدّين الفاسقين ؟ الواقع ان الكنيسة تشجب المذهب المذكور وتكاد تكرهه « كرهها للاحاد » . وهي على حق .

هي على حق . اولاً لأن محاكمات اصحاب هذا المذهب واهية جداً في الحقيقة ، فهم ينطلقون من معرفتهم بالطبيعة ويزعمون اثبات وجود الله بلفت الانتباه الى السماء و « الطيور » . يقول باسكال « إن أعجب فعجبي لجرأة هؤلاء الاشخاص في حديثهم عن

(١) déisme مذهب المولّه الذين لا يؤمنون بوجود وحي .

الإله . انهم اذ يوجهون الكلام الى الزنادقة يبدأون
بإثبات الألوهية مستدلين بما في الطبيعة من موجودات .
لو كانوا يتوجهون بكلامهم الى المؤمنين الصالحين ما
عجبت من محاولاتهم . فمن كانت قلبه عامراً بالايان ير
في الحال ان كل ما هو موجود هو من صنع الخالق
المعبود . اما ان نقول للضالين ، كي يهتدوا بنور اليقين ،
تأملوا ابسط الاشياء تروا وجه الله جهرة ...

وان تكون بَيِّنَتُنَا الوحيدة على هذا الموضوع
الكبير الخطير سير القمر الدوار والكوكب السيار ...
وان نزع ان البينة بلغت حدود الكمال بمثل هذا
المقال ...

فمعناه دفعهم الى الظن بأن ديانتنا تستند الى حجج
واهية .

وهي على حق ايضاً ، لأننا اذا دعونا الناس الى
المجادلة في الله فلن يتجنبوا بعض التأكيدات . ان القول
بوجود الله يعني رفض الاصغاء الى بواعث الشك ، ويعني
القول بوجود شيء مبهم مستغلق . « اسرح النظر في كل
مكان فلا تقع عيني الا على الظلام الدامس ، كل ما في
الطبيعة مجلبة للشك مدعاة للقلق . لو كنت لا ارى شيئاً

يدل على الله لعزمت على الانكار . ولو كنت ارى في كل مكان آية على وجود الخالق لركنت الى الايمان . ولكنني في حالة يرثى لها لأنني ارى اكثر مما يسمح بالانكار وقل مما يسمح بالاطمئنان » . واذا ذهبنا الى ابعد من ذلك اضطررنا الى الاعتراف بالأمر « لو كان هناك إله لما ادركته العقول لأنه بلا اجزاء ولا حدود . وليس له اي علاقة معنا . نحن اذن عاجزون عن ان نعرف ما هو ، وهل هو موجود » .

يا لها من طريق غريبة يسلكها العقلانيون أصحاب المذهب المذكور ! فاذا اردنا ترسيخ الدين واقناع الملحدين ووضع قواعد الخلق المتين ، وجب علينا ان نتجنب لغتهم وان نتحدث بلغة اخرى .

ولكن اي لغة ؟ اننا ندرك ذلك اذا انتبهنا الى ما جاء في كتاب باسكال « التصانيف الفلسفية » وفي ملحوظات كتابه « تقرير المسيحية » . وقد نشرت هذه الملحوظات بعد وفاته تحت عنوان : « خواطر »

الفصل الثاني

طرق البحث

إذا أمعنا النظر في محاولات البشر لإرساء معارفهم ، تبين لنا وجود ثلاثة أنواع من المحاولات : فبعضها يستهدف البرهنة على بعض الحقائق بصورة مسبقة ، ويستهدف بعضها الآخر التحقق من الأفكار المتذمّنة عن طريق التجربة ، بصورة بعدية ؛ أخيراً يسترشد قسم منها بهذه الفكرة التالية : هناك مراجع 'تعتبر' حجة ويجب تصديقها . والحقيقة ان هناك ثلاثة مصادر يجدر الاستفادة منها . لكن ليس لها نفس القيمة ويجب ان لا 'تستعمل بنفس الصورة' .

في الرياضيات

في هذا الميدان لا تجدي التجربة ولا الحجة . فالامور الرياضية حقائق تجريدية لها جواهرها ونواميسها . ويمكننا تحديد خصائصها عن طريق المحاكمة فقط ، لكن ، في سبيل ذلك ، يجب البدء بوضع تعاريف ومبادئ وبديهيات . بعد اتخاذ هذه الاحتياطات ، لا شيء اسهل من البرهنة على سلسلة من القضايا .

الحقيقة ان المثل الأعلى في هذا الميدان ، كما يقول باسكال ، هو ان 'نعرف كل المفاهيم وان نثبت كل القضايا . إلا ان مثل هذا المثل الأعلى غير قابل للتحقيق ، لأننا في الحقيقة نعرف شيئاً بشيء آخر والشئ الثاني بثالث والثالث برابع . ومن تعريف الى تعريف ، نصل لا محالة الى حدود اولى لا يمكن ارجاعها الى حدود ابسط ، وتكون بالتالي غير قابلة للتعريف . كذلك لا يمكن البرهنة على كل القضايا . انها تقبل البرهنة ما دمنا قادرين على ان نثبت بأنه للتمكن من طرحها لا بد من طرح قضية اشد بساطة واكثر بداهة ، او لا بد من طرح تعريف اتفق عليه . لذلك ، هنا ايضاً لا نستطيع

السير الى ما لا نهاية .

ان الطريقة المثلى ، اي «تعريف كل شيء وإثبات كل شيء» هي اذن فوق متناولنا . لكننا نستطيع على الاقل ان نعرف كل ما هو ممكن التعريف ، اي كل ما ليس بجد بسيط اطلاقاً ، وان نبرهن على كل ما هو قابل للبرهنة ، اي كل ما يمكن ارجاعه الى عناصر ايسر ؛ وهذا ما ينبغي عمله في الرياضيات . وانتنا نتجبع فيها ما دمنا نأخذ بعض الاحتياطات الاولى .
ان باسكال يلخصها في ثلاث زمر من القواعد :

« أ – قواعد للتعريف :

١ – يجب ان لا نقدم على تعريف اي شيء من الاشياء المعروفة في حد ذاتها ، لدرجة انه لا توجد لدينا ابداً عبارات اوضح لتفسيرها .

٢ – يجب ان لا نترك اي عبارة من العبارات الغامضة او الملتبسة دون ان نعرفها .

٣ – يجب ان لا نستعمل في تعريف العبارات إلا كلمات معروفة بشكل تام او سبق تفسيرها .

ب – قواعد للمبادئ :

١ – يجب ان لا نترك اي مبدأ من المبادئ اللازمة

دون ان نتساءل هل نقبل به ، وذلك مهما يكن واضحاً وبديهياً .

٢ - يجب ان لا نحول الى مبادئ الا الاشياء البديهية تماماً في حد ذاتها .

ج - قواعد للبراهين :

١ - يجب ان لا نبرهن على اي شيء من الاشياء البديهية في حد ذاتها لدرجة انه لا يوجد لدينا ما هو اوضح منها لاثباتها .

٢ - يجب اثبات كل القضايا الغامضة ، وان لا نستخدم في البرهنة عليها الا مبادئ بديهية او قضايا سبق قبولها او البرهنة عليها .

٣ - يجب ان نستبدل ذهنياً المعرفات بالتعاريف ، كي لا نخطيء بسبب التباس العبارات التي ضيقتها التعاريف .

تلك هي القواعد التي تشتمل على مبادئ البراهين الراسخة الثابتة »

في الفيزياء

ان التجربة ، في الحقيقة ، هي التي تقدم الوقائع التي

ينبغي للفيزياء ان تستهدف معرفتها وتفسيرها . والى التجربة ايضا ينبغي لنا الرجوع اذا اردنا ان نتأكد من قيمة الافتراضات التي اجريناها . كل بحث خارج نطاق التجربة نوع من الجنون . وحينما يزعم شخص مثل ديكارت انه يستنتج قوانين الحركة من صفات الله ، يرتكب خطأ منهجياً لا يُغتفر . « ان اسرار الطبيعة خفية . وعلى الرغم من ان الطبيعة تمارس تأثيرها دائماً ، فاننا لا نكتشف مفاعيلها دائماً . ان الزمن هو الذي يكشف مفاعيلها من عصر لعصر ، اما التجارب التي تتيح لنا فهم الطبيعة فتتكاثر في استمرار . وبما انها المبادئ الوحيدة للفيزياء فان النتائج تتكاثر بتكاثرها » .

ان باسكال لا يشرع بنظرية التجريب ، بل يفعل ما هو افضل ، اذ يقوم هو نفسه بعمل العالم الفيزيائي . والجميع يعرفون الفرضيات الخاصة بثقالة الهواء ، وكره الفراغ ، وانبوب طوريشيلي . ان باسكال هو الذي صمم ونفذ تجربة برج سان جاك ؛ وربما بتأثير من ديكارت ، هو الذي طلب الى بيريه ان ينفذ تجربة بوي دي دوم الشهيرة ، وبين له كل ما يحذر عمله في سبيل نجاحها . واذا كان أوزو هو الذي صمم تجربة الفراغ في الفراغ ،

هذه المسألة التاريخية الغامضة ، فان باسكال ساهم فيها دون شك واستخلص النتائج الحاسمة في تجارب روان . وقد ادى ذلك كله الى نظرية توازن السوائل ونظرية ثقالة الهواء ؛ فرأينا الرياضيات والفيزياء ، في احدى المرات الاولى في التاريخ ، تتحدان معاً لتقدما لنا نظرة حول قوانين الطبيعة وسيرها .

في الادهوت

اذا كانت الرياضيات تعتمد على مجرد المحاكاة بصورة مسبقة ، والفيزياء على التجارب وحدها ، فمنة مسائل تعتمد على المرجع الحجة . « اذا اردنا ان نعرف من كان اول ملك للفرنسيين ، وفي اي مكان يجعل الجغرافيون دائرة نصف النهار Méridien ، وما هي الكلمات المستعملة في لغة ميتة ، وكل الأشياء الاخرى المماثلة ، فأي وسيلة غير الكتب تقودنا الى ذلك ؟ ومن بوسعه اضافة شيء جديد الى معلومات هذه الكتب ما دمنا لا نريد ان نعرف الا ما تبشتمل عليه ؟ المرجع الحجة وحده هو الذي يستطيع ان يوضح الأشياء لنا » . اذا جاءنا شخص بشهادة وكان جديراً بالتصديق فيكفي

ذلك لاقتناعنا في امثال هذه المواضيع . فاذا اختفى كل مرجع 'حجة' فما علينا الا ان نلزم جانبا الصمت . هذا بالضبط ما يحدث في اللاهوت . أصبح ان الله تراءى لموسى عند جبل سيناء ؟ أصبح ان المسيح صنع المعجزات ؟ أصبح أنه 'صلب' ؟ ماذا اوحى الله الى موسى ؟ بم 'بشر' المسيح ؟ كيف يتسنى لنا ان نعرف هذه الامور بغير المرجع 'الحجة' ؟ ان المرجع 'الحجة' يكتسب قوته الاساسية في حقل اللاهوت ، لأنه ملازم للحقيقة في هذا الحقل ، ولا يمكن معرفتها إلا به ، ولتوليد اليقين التام بصدد الاشياء المستعصية على العقل ، يكفي ان نعرضها للعيان في الكتب المقدسة .

بذلك نستطيع الاجابة على الاسئلة الهامة التالية :
أيهم نصدق ؟ القدامى ام المحدثين ؟ فيما يخص الاشياء المستندة الى المحاكمة والتجربة ، نصدق المحدثين دون شك ، لأنهم يعرفون اكثر من القدامى ويستفيدون من أبحاثهم . ان الانسانية في هذا المضمار اشبه ما تكون بانسان واحد يعيش دائما ويتعلم في استمرار . القدامى كانوا في الحقيقة كالشبان . وليست جريرتهم انهم اخطأوا لعدم كفاية المستندات ، ولو كتب لهم ان

يعيشوا في يومنا هذا لكانوا اول من يقول غير ما قالوا
في الماضي .

اما في ميدان اللاهوت فالحال مختلفة . فالذين كانوا
اقرب الى الوقائع المروية هم اجدر الناس بالتصديق ،
اي الشهود العيان ومن تلقف حديثهم . ان المرجع
الحجة ، وهذا المرجع فقط ، هو الذي يدخل بعين
الاعتبار هنا . وان باسكال يستنكر موقف اولئك الذين
يعارضون تقدم العلوم متذرعين بالسنة ، كما يستنكر
موقف الذين يدخلون افكاراً جديدة في ميدان اللاهوت
بحجة تقدم العلوم ، وهو 'يشهر بعناء الاولين ومكر
الآخرين .

فلنعرف اذن ان نؤدي ما هو واجب في كل فرع .
المحاكمة بصورة مسبقة في الرياضيات ، والتجريب في
الفيزياء ، والتسليم امام المرجع الحجة في اللاهوت .

الفصل الثالث

الضلال وسبله

١ - المهتدون والضالون

إن الذين انشرح صدرهم للايمان بفضل مولدهم وتربيتهم يعرفون في الحال ما هي المراجع الحجة التي يجب تصديقها ، وما هي بالتالي القواعد الاخلاقية والثقافية التي يجب وضعها موضع التطبيق . انهم يعرفون ذلك بفضل « مبررات القلب التي يحفلها العقل » ، بفضل هذه الغريزة التي تجعلنا ، في حالة الايمان ، نكتنه المبادئ التي يستخلص العقل منها النتائج فيما بعد . ولا يسعنا الا ان نغبط امثال هؤلاء الافراد على حالهم .

« فالقلب هو الذي يحس بالله لا العقل » . ويا لسعادة من
يحس به على هذه الصورة !
لكن الى جانب هؤلاء الصالحين فئة اخرى تقسم الى
قسمين :

اولاً ، اللامبالون : ويأبون الاهتمام بتوجيه حياتهم .
ويعرضون عن هذه المسألة على طول الخط .
ثانياً ، الملحدون : ويؤكدون كفرهم ، بل يتباهون به
أحياناً . فماذا نقول لكل منهما ؟

إن الأولين لا يفكرون الا في شيء واحد : التسلية .
ان الوضع الانساني رهيب جداً نظراً للشكوك التي
تكتنف منشأنا ومصيرنا والمسلك الذي يجدر تبنيه ؛
ومن يتأمل فيه لا يسعه ان يمنع نفسه من الدوار ولا
يأنس في نفسه الرغبة في الحياة . لذلك ، ان كثيراً من
الاشخاص الذين لا يملكون القوة والشجاعة على التفكير
يلوذون بالتسلية ، يلعبون بالورق او يدحرجون كرات
البلياردو او يتقاذفون الكرة . فيمنعهم هذا الامر من
تذكر الموت ومأساة وجودهم وحتى من تذكر أحداث
احزانهم واشدها . « هكذا تمضي الحياة . ينشد المرء
السكينة بمقارعة بعض العقبات ، حتى اذا قُهرت اثقلت

الراحة ظهره . لأن تفكيره سينصرف إما الى ما به
من مصائب أو الى ما يهدده من مكاره . وحينما يرى
نفسه في امان تام ينبجس السأم ، بسلطانه الخاص ، من
اعماق القلب حيث جذوره الطبيعية ويملا الفكر
بسمومه .

ان باسكال يوبخ بشدة امثال هؤلاء الاشخاص . « اما
الذين يمضون حياتهم دون ان يفكروا في غاية الحياة
الاخيرة ، والذين يهملون البحث لا لشيء الا انه هم لا
يوجدون في انفسهم التفسير المقنع ، وينسون ان خلود
النفس هو من الآراء التي يتقبلها الناس بسذاجة واثقة
او من الآراء التي تملك ، على إبهامها ، اساساً راسخاً ،
اما هؤلاء فانظر اليهم نظرة مختلفة . فالاهمال في مثل
هذه القضية الهامة المتعلقة بهم وبخلودهم وبكيانهم
يفيظني اكثر مما يستدر عطفني .

أما الملحدون فيوجه باسكال اليهم كلاماً آخر .
انهم يطرحون حجة اولئك الذين قصوا معجزات
الماضي قائلين : كيف نصدق شهوداً مزعومين يقصون
علينا ابعاد الاشياء احتمالاً : توقف الشمس ، تحول الماء
الى خمرة ، بعث الموتى ؟ بل انهم يذهبون الى ابعاد من

ذلك : فهم ينكرون وجود إله صالح ونفس خالدة وقاعدة مطلقة للعدالة والصلاح . اذا كان الإله صالحاً حقاً فكيف يتسنى لنا تفسير الشر الموجود في العالم ؟ كيف نتصور محافظتنا على ذكرى الحياة بعد الممات ؟ كيف لا نلاحظ ان ما هو حق ههنا باطل هنالك ؟
بمَ نرد على هؤلاء ؟

يقول مونتاني^(١) في كتابه :

Apologie de Raymond de Sebonde

ان ما يجعل الملعن ملعداً كبرياؤه الشاخصة ، وثقتة المطلقة بوسائل استعلامه واثباته ، وغطرسته الوقحة . ما قيمة هذه الغطرسة اذن ؟ هل يكفي عدم فهم وجود الله وخلود النفس وخلق العالم كي يحق لنا ان نحكم بأن الله غير موجود والنفس فانية والعالم غير مخلوق ؟
لقد قال مونتاني الكلمة الأخيرة بهذا الخصوص .
فما علينا إلا الرجوع إلى ما اكتشف من صيغ . ان باسكال^(٢) لا يفعل سوى تكرار هذه الصيغ . لكن ، على حين يحافظ مونتاني على طيف ابتسامة ، يقذف باسكال

(١) سلسلة « زديني علما » رقم ٢١ - منشورات عويدات .

(٢) سلسلة « زديني علما » رقم ٢٤ - منشورات عويدات .

بالحم اللاهية .

٢ - نقد الحواس والعقل

ما هي اذن هذه الحواس الاستطلاعية العجيبة وما هو هذا العلم العجيب الذي يستند إليه الملحدون ؟
أحواسهم ؟

. لقد انتقد مونتاني الحواس ، بعد المتشككين الأولين :
« انها تخدع العقل بالظواهر الكذابة » . ألا يُناقض بعضها بعضاً على الدوام ؟ ألا تغرنا بالرؤى والتخيلات والأوهام الدائمة ؟
أم محامتهم ؟

وهي التي يمكن ان نستخلص منها كل ما نشاء .
« ان العقل مطواع قابل الميل إلى كل اتجاه » . لذلك يدفعه كل شيء الى الخطأ . الخيلة وما تستتبعه من تضليل ، محبة الآخرين وبغضهم ، المصلحة ، المرض . داءٌ ما له من دواء . للتأكد من محامتنا ، يجب ان تكون في حوزتنا علامة معصومة تدل على الحقيقة . ولكن لاكتشاف هذه العلامة يجب ان نعرفها في السابق .
أم البداهة ؟

بيد أن الفكرة اذا بدت لنا بديهية فليس هذا
بالسبب الكافي لأن تكون ذات قيمة حقيقية مطلقة .
وعليه ، يتبدل الأمر البديهي بتبدل الزمان والمكان .
« ما هو حق فيما قبل جبال اليرينه باطل فيما وراءها .
يا لها من عدالة يحدها مجرى نهر ا » . يقال : « هناك
مبادئ طبيعية تفرض نفسها على عقلنا ، ويجب ان
نعتبرها غير قابلة للانكار . لكن ألا يمكن ان تكون
هذه المبادئ مجرد تعبير عن عاداتنا القديمة ؟ » أليست
مبادئنا الطبيعية مبادئنا المألوفة ؟ « لشد ما أخشى ان
تكون هذه الطبيعة هي نفسها عادة اولى ، مثلما العادة
هي طبيعة ثانية » .

وفيا يخص العلم الذي يستند اليه الملحدون ، فلنرجع
ايضاً الى مونتاني . ان باسكال ، في حديثه مع السيد
ني ساي ، يذكر برهنة مونتاني المدهشة . فنحن لا نعرف
ما هي النفس وما هو الجسد وما هي المادة . ولا نعرف
متى شرعت النفس بالوجود وهل لها نهاية . ولا نعلم متى
تختطف ومتى تصيب . ولا نعلم هل الحيوانات تفكر ،
ولا ندرى ما هو الزمان والمكان والحركة ، والوحدة ،
ولا ندرى ما هي « الصحة والمرض ، الحياة والموت ، الخير

والشر ، البير والخطيئة » . ان هندستنا مزعزعة
المبادئ ، والفيزياء والطب والتاريخ والسياسة وعلم
الاخلاق والاجتهاد ، كل شيء غير موثوق . فياله من
تبرير لكبرياء الملحد !

إن مونتاني مصيب حيناً « يوبخ العقل الخالي من
الايان توبيخاً شديداً » « حتى انه ينزله من عليائه
ويقارنه مع البهائم » ويسدد باسكال ضربته الاخيرة
بقوله : « لا يعني ان لا ابتهج حيناً ارى ، عند هذا
المؤلف ، العقل الصلف يهان بنفس سلاحه » .

حقاً ان « التشكك هو الصحيح » . وما كبرياء
الملحد الاحماقة تسير به نحو الجريمة . فياله من شموخ
متمهن ويا لها من سذاجة ذمية ! « لو بدأ الانسان بدراسة
نفسه اولاً لرأى مقدار عجزه عن تجاوز الحدود
المرسومة . كيف يمكن ان يعرف الجزء الكلى ؟ لعله
يطمح على الاقل الى معرفة الأجزاء المتناسبة معه ؟ الا
ان اجزاء العالم مترابط بعضها ببعض بحيث يخيّل الى انه
يستحيل ان نعرف جزءاً دون الآخر ، ودون الكل ،

الفصل الرابع

الرهان والايمان

إذن ، ما العمل ؟

ان تشكك موتنا في يحطم الاحاد ولكن بتهديمه
قيمة العقل . ألا يقضي في الوقت نفسه على كل آمالنا
بوجود حياة منتظمة تنظيماً رشيداً ؟ واذا كان العقل
عاجزاً ضد الدين ، أفليس بعاجز أيضاً عن خدمة الدين ؟
هنا نحن اولاً في قلب المعضلة . ان باسكال يتملص
منها بلفظه انتباه الملحد الى ما يُعتبر تصرفاً حكيماً
وقت الرهان .

ان المراهن يجد نفسه امام موقفين . فاذا وُجد في

كلا الطرفين احتمال متكافئ في الربح والخسارة ، فلا يسهه إلا الامتناع عن اللعب او الاعتماد على عامل الصدفة . واذا كان هناك احتمال واحد بالربح مع وجود احتمالين في الجهة الأخرى فعليه ان يراهن حيث تكون احتمالات الربح اعظم . واذا كان احتمال الربح كبيراً جداً في احدى الجهتين وفيها فقط فمن الجنون ان لا نختار هذه الجهة .

كذلك هي الحال بالنسبة الى الوضع الانساني . ان تنظيم حياتنا يختلف اختلافاً تاماً بحسب وجود ايماننا بوجود الله وبخلود النفس وبقواعد الأخلاق المسيحية او عدم الايمان بها . الا اننا لا نستطيع ان نثبت لا هذا ولا ذاك . فالحكمة اذن تقضي الامتناع في هذه المواضع عن كل اعتقاد ، عن كل حكم ، عن كل عمل . ولكن مثل هذا الامتناع مستحيل . فنحن مضطرون الى الاصطفاء . يجب حتماً ان نتصرف كما لو كان الدين شيئاً صحيحاً او ان نتصرف خارج نطاقه وضده . شئنا ام ابينا يجب ان نبنى موقفاً . ولكن اي طرف نختار ؟ علينا ان نتصرف كالمراهن . فلنر اي طرف يؤمن لنا ادنى خسارة

واعظم ربح .

إذا راهنت ضد الدين فماذا اربح ؟ بضع سنوات
تسلية ، ويا لها من تسلية ! « فسرعان ما تحمل الأمراض » .
مقابل ذلك اعرض نفسي لفقدان السعادة الأبدية ،
السعادة اللامتناهية .

وإذا راهنت لصالح الدين فماذا اخسر ؟ لا شيء .
لأنني أحيا حياة مثرعة بمباهج الأمانة والاستقامة
والاحسان والتقوى . ويحتمل ان اربح سعادة ابدية ،
سعادة لا متناهية . أضف الى ذلك ، وهذا ما افترضه
باسكال ضمناً ، اذا اخطأت بمراهنتي لصالح الدين فان
الفناء يحل بي وحينئذ لن اتبين خطأي . وهذا يجنبني
الاسف عليه . لكن اذا راهنت ضد الدين واخطأت في
اصطفائي فسيحكم علي بالحسرة والندامة الأبديتين .
كيف التردد اذن ؟ ان النتيجة مفروضة بحكم حساب
رياضي .

يجب اذن المراهنة لصالح الدين . ويجب على الانسان
ان يتصرف كما لو كان مؤمناً .

وعلى ذلك يرد الملحد بقوله : « لا إستطيع ان
أؤمن » . الا ان باسكال يحتفظ له بجوابين :

الأول يستند الى ملاحظة هامة . « انك غير مؤمن ولا ترغب في الايمان : تصرف إذن كما لو كنت مؤمناً . اذهب الى القديس ، وتناول الماء المقدس » . وكما قال مونتاني « ستصبح في نهاية المطاف مؤمناً » . لأن حركات العبادة تؤدي الى الايمان ما دامت تؤدي في انتظام .

وثمة شيء آخر . « ان الارادة من الوسائل الأساسية للايمان ، لا لأنها تخلقه بل لأن الأشياء تكون صحيحة او باطلة بحسب نظراتنا اليها » . يكفي اذن ان نريد الايمان ارادة حازمة ، وان نركز اهتمامنا على الاسباب الدافعة ، وان نصرفه عن الاسباب الباعثة الى الشك ، كما نكون في النهاية سادة ايماننا .

الفصل الخامس

صحة الديانة المسيحية

هذا السبب موجود في كل ما يثبت صحة الدين المسيحي .

يجب ان نرغب في الرهان لصالح الدين وان نؤمن بمعتقداته .

ولكن اي دين ؟ ان باسكال يجيب دون تردد :
« الديانة التي يجب ان نرغب في اعتناقها هي الديانة المسيحية » . والحقيقة ان هناك نوعين من الحجج التي تثبت صحة المسيحية وتفرض موافقتنا على معتقداتها وسننها . بعضها فلسفي تام ، وبعضها الآخر تاريخي بحت .

١ - الحجج الفلسفية

يقول باسكال اننا ، بغير المسيحية ، لا نستطيع ان نفهم شيئاً عن الانسان ولا عن الوجود .
فلنتأمل الانسان أولاً .

انه كائن غريب جداً . ففيه تجتمع صفات الملاك والبهيمة . انه « عود قصب » أوهن ما في الطبيعة . ولكن هذا العود « يتميز بالتفكير » . ان غريزته تجعله يدرك بأنه متمتع بقوى فكرية ، وطاقات خلقية ، وتوثبات دينية ان دلت على شيء فانما تدل على وضع ، ان جاز القول ، إلهي . ولكن التجربة تظهر له انه يملك بالاضافة الى ذلك جسداً فانياً وانفعالات شديدة واهواء مريضة ومعاييب دميمة . فهو قادر على اسى الأفكار وادنى الأحاسيس . انه اذن كائن مزدوج ، لا يدرك نفسه ما دام قلبه غير عامر بالايان .

ولنتأمل الكون ثانياً .

انه يملك صفات موازية . نرى عظمة وجمالاً وروعة وجلالاً في اللامتناهي الكبر واللامتناهي الصغر . الى جانب ذلك ، نرى فيه ايضاً كل ما يمكن تصويره من

‘فحش وآلام وامراض وسوء أخلاق ؛ وهي مشاهد غريبة مستغلة .

كيف نفسر اذن تجاه انفسنا وجود هذه الخلائط المتباينة من الصفات المتعاكسة ؟ يعتقد باسكال ان فهمها مستحيل اذا لم نتلمس في الديانة المسيحية ما يضيء لنا ظلمة الطريق ، فهي التي تقدم لنا تفسير اللغز ؛ ولولاها لبحثنا عنه بغير جدوى . هذا التفسير هو التالي :

ان الله خلق الانسان والكون في البدء كاملين رائعين . ولكن الانسان ارتكب الخطيئة الاولى ، وعصى امر ربه ، فطرد من النعم الأرضي . هذا هو تفسير كل شيء .

يفسر لنا هذا الأمر وجود ملاك وبهيمة فينا . الملاك بقية وضعنا السالف ، والبهيمة ما اوجده الله فينا ليعاقب آدم في ذريته . والانسان لم يصبح هذا الكائن المزدوج الا عقاباً على خطيئته .

ومن جهة اخرى ، اذا كان الكون يظهر لنا هذا الوجه الخيب فذلك لأن « الله يختفي طوعاً » عقاباً للانسان . الا انه ترك في العالم نوراً كافياً كي يتبين المصطفون الطريق وينعمون بالخلاص ، كما بث فيه ظلمة

كافية كي يعشى الضالون ويضلون سواء السبيل .
كتب باسكال : « اما انا فاعترف .انه ما ان يكشف
الدين المسيحي المبدأ القائل بأن طبيعة البشر فاسدة
هابطة من عليائها حتى يجعلنا نرى في كل مكان سمة هذه
الحقيقة » .

حينئذ ندرك لماذا اراد الله ان نقوم بـ « جهد
ارادي » كي نمضي الى الفلسفة الحققة . الأمر الذي يعني
ان نفرض على انفسنا انتهاج « طريق المذلة والخشوع » .
فآدم ارتكب الخطيئة بدافع الكبرياء . والذين لا
يودون ان يصدقوا الا معطيات حواسهم وبديهياتهم
عقلهم وقيمة محاسنهم يبقون في الحقيقة على الخط
المرسوم ، ولا يستحقون ان يتجلى الله لهم ، لذلك لا
يلقون الا التردد والحيرة . اما اليقين النظري والعملي
فوقف على الذين عرفوا كيف يتصلون من آدم . وهم
يتصلون منه يوم يتصرفون بخشوع ، اي يوم يكرهون
انفسهم على الايمان ، ولو كان ذلك ضد معطيات حواسهم
وبديهياتهم عقلهم . وهذا ما يفعلون اذ يجبرون انفسهم
على تصديق عقيدة الخطيئة الأولية ، وهي عقيدة لا
نفقه شيئاً بدونها ، ولا يمكن الايمان بها دون قمع

كبريائنا . الحقيقة ، ما من عقيدة أصعب على العقل ،
 ما من عقيدة أصدم للقلب ، ما من عقيدة تتطلب مثل
 هذا التخلي الواسع عن الفكر الشيطاني الذي يوسوس
 في نفوسنا امام الايمان . « لا جرم انه لا شيء اصدم
 للعقل من قولنا بأن خطيئة الانسان الاول حلت بالذين
 جاءوا من بعده ولم يسهموا فيها . لا يبدو هذا الانتقال
 مستحيلاً فحسب بل في غاية الاجحاف ... لا جرم انه
 ما من شيء يصدم النفس اكثر من هذه العقيدة . لذلك
 يعتبر اذلال الفكر لدرجة الايمان بها اكثر التضحيات
 استحقاقاً للثواب ، فاذا تطلب الله خضوع العقل عوضاً
 عن تجبره الصلف فذلك « ليندل هذه القوة المتكبرة ،
 قوة المهاكمة التي تزعم بأن عليها ان تكون حكم الاشياء
 التي تصطفها الارادة ، وليشفي هذه الارادة السقيمة
 التي افسدت نفسها افساداً تاماً بتعلقاتها الدنسة » . من
 يتنصل من كبرياء آدم يفعل البادرة الضرورية . حينئذ
 يكشف الله له نفسه ويكشف له التفسير الحقيقي للطبيعة
 الانسانية وللكون ، .. ويا لها من مكافأة ! » .

الحجج التاريخية

هناك ايضاً اسباب تاريخية يجب ، فيما يزعم باسكال ،

ان تدفع المسيحي الى الديانة المسيحية والى البقاء عليها.
الا ان باسكال لا يأتي بشيء جديد ، بل يرجع الى
الحجج التقليدية المعروفة :

ثمة حجة مستمدة من « خلود الدين المسيحي » هذا
الدين الذي يقوم على الاعتقاد بتردي الانسان من حال
تتميز بالمجد والوصال مع الذات الربانية الى حال من
الكربة والندامة والبعد عن الله . لكننا سنعود ، بعد
هذه الحياة ، الى حالنا الاولى عن طريق مسيح منقذ
يأتي الى الأرض وهو دائماً عليها ؛ كل الأشياء مضت
وانقضت وبقي هذا الشيء الذي من اجله وُجدت كل
الأشياء .

« ... فلنلاحظ ان انتظار المسيح استمر دون
انقطاع منذ بدء العالم ، .. وانه وُجد دائماً اشخاص
قالوا ان الله اوحى اليهم بأنه سيولد مخلص ينقذ
شعبه ، ... وان ابراهيم جاء بعدئذ يقول انه اوحى اليه
انه سيولد من احد أولاده ، ..

وان يعقوب صرح انه سيولد من يهوذا ،
وان موسى والانبياء جاؤا بعدئذ لينبشوا عن زمان
مجئيه وعن طريقة هذا المجيء ،

وانهم قالوا ان شريعتهم لما وجدت الا في انتظار
شريعة المسيح ،

وان شريعتهم دائمة الى ان تأتي شريعته الخالدة ،
وأن يسوع جاء اخيراً محققاً جميع التنبؤات . ان
هذا رائع حقاً » .

وثمة حجة اخرى مستمدة من تحقق النبوءات . « ان
اعظم الأدلة على يسوع المسيح هي النبوءات . فقد
ارسل الله الأنبياء خلال الف وستائة سنة ، وبعدئذ
نشر هذه النبوءات مع اليهود الذين حلوها الى كل اصقاع
العالم خلال اربعمائة سنة . هذا هو التمهيد الذي جرى
لولادة يسوع المسيح الذي يجب على الجميع ان يؤمنوا
بتعاليم انجيله » .

أخيراً يستخلص باسكال من المعجزات اثباتاً قاطعاً
لألوهية المسيح . ان بعض الناس ينكرون المعجزات ،
لكنهم مخطئون . « لو لم يكن هناك ابدأ ما هو صحيح
من ذلك كله لما صدق اي شيء على الاطلاق » . لذلك
هناك معجزات اخرى . ألم يرَ باسكال نفسه كيف شفت
الشوكة المقدسة عين ابنة اخته . وكما يقول المسيح ، ان
كنتم لا تؤمنون بي فأمنوا بالمعجزات . فلنعرف اذن

كيف نقبينها ونستخلص منها النتائج كما يدعونا السيد المسيح .

وعليه ، ان حقيقة المسيحية لا تدعو الى الريب .
فالديانات الوثنية وامثالها تستند الى الاساطير ، أما الكتاب المقدس فلا يستند الى الاساطير ؛ انه مرجع حجة تقدرت كلماته وتنزهت عن الشك .

الفصل السادس

كيف نفسر المسيحية

بقي علينا ان نعرف كيف يجب ان نفسر المسيحية .
وقد سبب هذا الامر مناظرات عديدة ، كانت اخطرها
المناظرة التي جرت بين اليسوعيين و الجانسينيين في عهد
باسكال .

١ - نقد التفسير اليسوعي

يعتبر باسكال التفسير اليسوعي سيئاً ومقيتاً .
أولاً : انهم بنظرتهم القائلة بالعون الكافي جددوا

البدعة البيلاجية القديمة . وارثكبوا ، مستعملين اللغة
المسيحية ، نفس الخطيئة التي ارتكبتها ابكتيتوس
بلغته الوثنية . وأزهوا بالقدرة فضلوا الطريق . ليس
صحيحاً ان الانسان يملك دائماً في نفسه العون الكافي
للتضرع الى المولى ، وانه يكفي ان تتضرع الى الله لكي
يمدنا بالعون الفعال الذي نحتاج اليه . ان آدم هو حقاً ،
كما قيل : « صديق صالح فاته العون » . وكما اعلن
الرسول بطرس ، لقد اختار الله وعين عباده المصطفين
والملموعين . فثمة وضع حتمي مكتوب على كل مخلوق .
والله يهبنا عونه الفعال او يمنعه عنا . هنا يمكن سر
فضيلتنا وآثامنا . « إننا لا نفقه شيئاً من أعمال الرب
اذا لم يكن مبدؤنا انه اراد ان يغوي بعض القوم ويهدي
الآخرين » .

وليس صحيحاً ان الاخلاق تبقى مسيحية اذا نحن
تساهلنا في مبادئها بحجة تكييفها مع الحياة اليومية
والمجتمعية . اخلاق متراخية ! إنها لعمري مخالفة
للمسيحية تمام المخالفة . ان باسكال ينتقد ، بل يمرغ
بالوحد ويملاً بالسخرية اولئك الذين يشرعون بهذه المهمة
ويزعمون بعدئذ انهم يبسطون سلطانهم على الكنيسة

بمساعدة السلطات السياسية .

لقد ادخل اليسوعيون مبدأ الآراء الاحتمالية . اذا اشتبهت عمل شيء يستهجنه وجدانك فليست مضطراً بالضرورة الى الامتناع عنه . اشرع بتفحص مؤلفات حلالي المشاكل الوجدانية ولا سيما مؤلفات اليسوعيين : وانظر هل يوجد بينهم واحد قد واجه حالة مماثلة لحالتك ووجد انه بالامكان ان يُدافع عن حل ينسجم ورغباتك الخفية . اذا وقعت على واحد من هذا النوع فلديك « رأي احتمالي » . ويكفي هذا الأمر لتبرئة نفسك اذا انسقت مع رغباتك ، رغم كل الاحتجاجات المتصاعدة من وجدانك . ياله من مبدأ شنيع ، ومما يزيده شناعة وخطورة ان قائمة اللاهوتيين الذين يكفي حكمهم لايجاد « رأي احتمالي » خالية من الاسماء الشريفة مبلوءة بالاسماء السخيفة !

وسمح اليسوعيون بالتحفظات الذهنية^(١) Restrictions mentales . يُطلب اليك مثلاً هل سرقتم . الحقيقة انك سرقتم ولكن في غير هذا اليوم . حيثئذ

(١) يذكرنا هذا التصرف بالحيل الشرعية - العرب -

تجيب بقولك « كلا ، بصوت مرتفع ، وتتم شهادتك مضيقاً ولكن بصوت منخفض » لم أسرق هذا اليوم ، فلا تكون قد ارتكبت الا هفوة بسيطة . ويحتج باسكال قائلاً : ان هذا يعني التفوه بالكذب بصوت عال مع قول الحقيقة بصوت منخفض ، فيا له من مكر قبيح ! كما قال اليسوعيون بأنه يكفي التملص من معصية كبرى تفقد العون الرباني ان نعرف كيف نوجه قصدنا وان تتمتع بالسيطرة الضرورية على الأعصاب لنقوم به في الوقت المناسب ، لأن الغاية تبرر الوسطة . فاذا تحداني أحدهم للمبارزة فبوسمي ان امضي دوغاً خطيئة للتجول في مكان الموعد والسيف في يدي ، فاذا هاجمت خصمي كنت مذنباً جديراً بعذاب الجحيم . لكن اذا تريثت ريثما يبدأ بمهاجمتي فلا يكون قصدي حيناً اقوم بهجوم معاكس الا الدفاع عن النفس ، ويمكنني اذن ان اقاتل بصورة مشروعة تماماً .

وها هوذا الباب يفتح لجميع الجرائم . كما اوجد اليسوعيون وحيدوا مجموعة من العبادات والإشارات والطقوس والاحتياطات الصغيرة بوصفها بها النفوس الورعة ويمتدحون تأثيرها من أجل الخلاص :

حمل الايقونات المقدسة ، طريقة للتفوه باسم المسيح ومريم في هذه المناسبة او تلك ، السجدة ، ورسم اشارة الصليب . بذلك أوجدوا نوعاً من الصنمية يؤكدون مفعولها العجيب . فباله من معتقد سيء ! ان دفع السذج من الناس الى الظن بأنه يكفي « ان يتوبوا ساعة الموت دون ان يبدلوا حياتهم الفاسدة » او « ان الله سيبعثهم » إذا استعملوا هذه الوسائل التافهة ، هو في اعتقاد باسكال تصرفٌ « كفيل بابقاء الآثمين في فجورهم بسبب الفكرة الخاطئة الناشئة عن الثقة المتوهرة ، بدل ان ينتشلهم منه بتوبة حقيقية لا يولدها الا العون الرباني » .

ما هو الورع الحقيقي

كلا ، ليست هذه هي الأخلاق الحقيقية ، وليس هذا هو الدين الصحيح .

الورع يعني محبة الله اكثر من أي شيء ، وأن لا نحب أي شيء إلا في الله ، أي وفقاً للفكرة التي يجب أن تتمثلها عن غايته وعدله ولطفه .

الورع هو ان نتلاشى أمام هذا الكائن الكلي الذي اغضبناه مرات ومرات ، والذي يستطيع أن يهلكنا بحق في كل لحظة ، و « أن نعتزف بعجزنا عن كل شيء لولاه ، وأتينا لا نستحق إلا سخطه .. »

الورع هو ، بالتالي ، اتباع قاعدة السلوك المزدوجة التي فرضها باسكال على نفسه : ١ - الامتناع عن كل لذة ٢ - الاكتفاء بما هو ضروري فقط. وهو بالتالي ازدرأ كل ما درج البشر على جعله في المقام الأول من اهتمامهم ، كل ما له علاقة بالجسد بل كل ما له علاقة بالفكر ، وهو ان نعتبر البحث العلمي واكتشاف حقيقة علمية اشياء غير مشرفة ، وهو ان تتمنطق بحزام ذي مسامير وان نوجه الى نفسنا للضربات الممزقة اذا سبب اكتشافنا العلمي شعوراً بالازدهاء .

الورع هو ان نحب الفقر والفقراء وان نعطيهم كل ما نملك ، وان نغنيهم عنايتنا بانفسنا ولو في ساعة النزاع ، وان نبذل لهم اوقاتنا وأموالنا ، وهو ان نعيش متجردين عن كل شيء منصرفين عن كل كائن . ولا يعني ذلك ان نمتنع عن حب اهلنا ، بل ان لا نحبهم الا بقدر تعلقهم بتقوى الله ، وان نعتبر كل ما يمر بهم

من خير او شر كساحنة لتمجيد الله عز وجل ، وهو ان
تتمنى بساطة النفس وصفاءها وان نتقبل بكل تواضع
ما يسديه الينا الكاهن من نصائح ووصايا ، وان نستسيغ
البلوى باستسلام بل ببهجة وحبور .

الورع اخيراً ، هو ان نكون من الزهاد الناسكين ،
وان لا نكف عن التفكير في جروح يسوع المصلوب
تكفيراً عن خطيئة آدم ، وان لا نرى الأشياء ونحكم
عليها الا من وجهة المولى . اذا فعلنا ذلك شعرنا بعزاء
غريب ومروور عجيب . فلنقرأ هذه الرسالة التي كتبها
باسكال عام ١٦٥١ بمناسبة وفاة والده : « اذا نظرنا الى
هذا الحدث من خلال مشيئة الله وعدالة حكمه وبديع
عنايته ، سجدنا في خشوع لسمو أسرار الرب وكرمنا
قدس احكامه وباركنا سير عنايته ، وأردنا معه وفيه
وله ما اراده لنا وفينا » . وكتب الى الآنسة دي
روانيز في ١٦٥٦ قائلاً : « انني ابذل قصارى جهدي
كي لا أكتب من شيء ، وكى اعتبر كل ما كان كأحسن
ما بالامكان » .

الإعراض عن العالم ، الاعراض عن الذات ،
الانصراف الى الله انصرافاً كلياً بالايمان والمحبة . هذا هو

معنى العبارات التي يتجلى فيها أعمق قسم في فلسفة
باسكال الدينية . يقول يسوع له لقد ارقنت دماثي في
سبيلك فيجيبه باسكال : رباه ، اهبك كل شيء .

باسكال والاخلاق

إذا اردنا الآن ان نقدر عظمة هذا الرجل فيجب
ان نتذكر ما يلي :

بعكس كثير من الفلاسفة الذين اجادوا في الكتابة
عن الأخلاق ولكنهم لم يضعوا مبادئهم موضع التطبيق ،
لم يكتف باسكال بمجرد الوعظ بالكلام بل قرن القول
بالفعل وكان أسوة حسنة . لقد كانت له ساعات ضعف
ولا شك ؛ وخلال فترة من الزمن انغمس « في المجتمع »
مع الدوق دي روانيز وميريه وميلتون ، كما كتب مقالة
في اهواء الحب رأى فيها ان الحياة تكون جميلة اذا
ابتدأت بالحب وانتهت بالطموح . وطالب مطالبة
شديدة بأسبقية بعض اكتشافاته . لكن ، رغم كل
ذلك ، زهد في الحياة بصورة مبكرة وكان أنموذجاً
للصفاء المسيحي . ان هذا المفكر العبقري الذي اهتدى
الى مبادئ الهندسة وهو في الثانية عشرة ، وألف بحثاً

في المخروطات. في السادسة عشرة ، وبنى آلة حاسبة في العشرين ، وامتدى في الثالثة والعشرين الى التجارب المثبتة لوجود الفراغ ، وكتب بحثاً في توازن السوائل لا يزال محافظاً على قيمته ، والف فيها بعد « الرسائل الريفية » المدهشة الرائعة ووضع كتابه « خواطر » دفاعاً عن المسيحية ، ... نقول ان هذا المفكر العظيم كان في نفس الوقت اكثر الناس تقى وخشوعاً واحساناً واستكانة . ولم يفكر ، وهو المريض الدائم منذ الثامنة عشرة والعاجز عن العمل في السنوات الأربع الأخيرة من عمره ، الا في الاستفادة من امراضه ، من هذه السانحة الربانية لبذل التضحيات والسيطرة على الذات والحذب على البؤساء .

كلا لم تكن الاخلاق الباسكالية بضاعة للتصدير تكتفي بمجرد الالفاظ. لقد عاش هذا الرجل مبادئه الاخلاقية . ولما مات وجدت على ثيابه « تميمة » حافظ عليها كذكرى عن ليلة تصوف احس خلالها برعشة علوية تسري في اوصاله ، وعرف ما يعرفه اهل الانحطاط والوجد في لحظة الوصال بالذات الربانية .
يجب ان لا نرثي لحال باسكال . فلنقرأ بالأحرى ما

كتب للآنسة دي روانيز : « لو لم تكن لذتنا في الحرمان
والنسك اعذب من لذة الخطيئة لما تخلينا عن نعم الدنيا
لنحتضن صليب يسوع. وكما يقول تيرتوليان، لا يعتقدون
احد ان حياة المسيحيين حياة أسمى وكأبهة . نحن لا
نتخلى عن الملذات الا الى اخرى اعظم منها » .

الفصل السابع

نظرة عامة

لا جرم ان مجموعة المبادئ الاساسية في فلسفة باسكال
تثير دهشتنا ؛ كما ان تصوفه وتفكيره « الجانسيني »
يستدعيان عجبنا . فمن ذا الذي يشعر في يومنا هذا بمثل
هاتيك « الرعشة » التي ولدت لدى باسكال الازمة
الفكرية الاخلاقية المتجلية في كتابه «خواطر» ؟
لكن اذا انتبهنا الى تفاصيل معتقاداته اكثر من
انتباهنا الى جملتها ، فلا يسعنا الا ان نعجب بحدة كثير
منها وبطابعها الجريء . انه يتميز بنضارة عجيبة في
التفكير ، وطرادة غريبة في التعبير . واننا لنرى ذلك

في بعض نظراته العلوائية ، مثلاً في هذه الصفحات
 الخالدة يضعنا فيها امام هذين المحالين : اللامتناهي في
 العِظَم واللامتناهي في الصِغَر ؛ ويجعلنا نلوي العنق
 امام مشهديها . ونرى ذلك ايضاً في بعض تحليلاته
 النفسانية . لنعد بذاكرتنا مثلاً الى ما حَبَّر من صفحات
 عن المخيلة وأثرها التخريبي في سير الفكر وتنظيم الافعال
 الانسانية ، وعن تضاد الفكر الهندسي الذي لا يعرف
 الا استخلاص النتائج من عدد محدود من المبادئ، والفكر
 الأريب الذي يعرف الرجوع الى الاسباب المتعددة
 المتنوعة المحيطة بواقعة بعينها، وعن التسلية وما تدفع من
 شرور وما تشكل من اخطار وسبب تعلق الانسان بها
 اشد التعلق . كما نجد ذلك في نظراته الجمالية وطريقته
 في الحكم على الفصاحة والاسلوب، وفي تفسير استساغتنا
 للتناظر وتعليل وجود بعض اشكال القبح المتقاربة
 تقارب بعض اشكال الجمال ، ونجده ايضاً في نظراته
 التقديرية للحرب : « لماذا تريد ان تقتلني ؟ عجباً ! ألا
 تقطن في الضفة الاخرى ؟ يا صديقي ! لو كنت تقطن
 في ضفتي لكنتُ سفاحاً ولكان قتلُك على هذه الصورة
 عملاً ظالماً . لكن ، بما انك تقيم في الضفة الاخرى لذلك

أنا مقدم وعملي عادل . ولئن تظاهر بأسكال باستحسان الشيء لأنه يجنب المنازعات والخصومات ، فمع ذلك هو الذي كتب ما يلي . « اي شيء ابعد عن سبل الرشاد من اصطفاثنا لحكم الدولة الوليد الاول للمملكة ؟ ... إننا لا نصطفي لقيادة السفينة ارفع المسافري نسباً » . لقد عبّر بأسكال عن ذلك كله بهذه المزايا الأخاذة التي تجعل منه احد كبار الكتاب في العالم : الانفعال والكرب والسخط ، هذه الصفات التي تكسبه فصاحة شديدة ؛ والسخرية الرفيعة التي تجعله سليطاً لا يضاهى ؛ وغريزة الجمال التي تهديه الى الكلمة المصورة المعبرة الراسخة في الازهان .

من كان في التاسعة والثلاثين رياضياً عبقرياً ، وفيزيائياً مجتهداً ، ومنطقياً مبرزاً ، وهجاء قاسياً ، وأكثر الفلاسفة الصوفانيين اقناعاً واعظهم تأثيراً ، فقد بلغ حظاً فريداً في تاريخ العالم والفكر .

الدريه كريمتون

الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ

آثاره

يمكن تقسيم انتاج باسكال الى مؤلفات فلسفية ،
اخلاقية ، دينية من جهة ؛ ومؤلفات علمية من جهة
ثانية ؛ هناك أخيراً مراسلاته . وكان مراسلوه الأساسيون :
السيدة بيريه وجاكولين وهما شقيقتاه ، الأب نويل ،
دي ريبير ، ليباير ، فيرما ، الأنسة دي روانيز ،
السيد بيريه .

ان طبعة مجموعة كبار الكتاب الفرنسيين (هاشيت ،
جزءان) التي يسهر على اصدارها السادة برونشفيغ ،
بوترو ، غازيه ، تتضمن كل آثار باسكال .

كما ان السيد ستروفسكي نشر مؤلفات باسكال
الكاملة في ثلاثة مجلدات .

وفيا يخص المؤلفات الفلسفية والأخلاقية والدينية ،
هناك طبعات عديدة ، نذكر منها :

— حديث باسكال مع السيد ساسي . ج . بيريه

(كولان ١٩٠٣)

— مقالة في الأهواء . ج . ميشو (فونتيومان
١٩٠٠) و ف . جيرو (هاشيت ١٩١٠) .
— الوجيز في حياة يسوع . ميشو (فونتيومان
١٨٩٧) .

— الرسائل الريفية . ظهرت هذه الرسائل في
كراسات متقطعة من ١٦٥٦ الى ١٦٥٧ . وقد جُمعت
الرسائل وعددها ثمان عشرة في مجلد واحد نشره نيقول
عام ١٦٥٧ في أمستردام عند آل الظفير Elzévir ، الا
ان المجلد يحمل اسم الناشر بيار دي لافالي في مدينة كولون .
ومن الطبقات الحديثة ، فلنُشر الى طبعة أوغست
مولينييه (ليمير ، مجلدان ، ١٨٩١) .

— خواطر . بعد وفاة باسكال ، جُمعت كل
الملاحظات التي سجلها باسكال من اجل كتابه « الدفاع
عن المسيحية » ، وكانت بلا ترتيب ولا ترابط ، وذلك
كما يقول إتيان بيريه « لأنها لم تكن سوى تعبير أولي
عن خواطره التي كان يسجلها على وريقات كلما سنحت
لفكره . كل ذلك كان على درجة من النقص والاهمال في
الكتابة بحيث لا تحل رموزها الا بشق الانفس .
فكان اول عمل لنا اننا استنسخناها كما كانت وفي نفس

الاختلاط الذي وجدناها عليه .

لقد بدا نشر هذه الخواطر وهي على حالها امرأ مستحيلاً . كما ان توضيح الأفكار الغامضة والمجاز الناقصة واستكمال الكتاب من خلال مقصد المؤلف كان تقريباً أمراً مستحيل التحقيق . ولو فعلنا ذلك لخرجنا بكتاب مختلف تمام الاختلاف . وقر القرار اخيراً على ان لا ننشر من الخواطر الا اوضحها واقربها من الانتهاء ، وان لا نجمل تحت نفس العنوان الا الخواطر التي تتناول نفس المواضيع وان نحذف البقية .

كانت المهمة شاقة . وقد اسهم في العمل أرنو ، نيقول ، الدوق دي روانيز وغيرهم . ولكننا اضطررنا في النهاية الى الحصول على موافقة جيلبرت بيريه على بعض « التجميلات والتوضيحات والمناقلات والاضافات » وعلى بعض التعديلات في النص .

على هذه الصورة جرى تقديم الطبعة الاصلية التي طُبعت في نسخ محدودة جداً عام ١٦٦٩ . وفي العام التالي نُشر نفس النص مع بعض التعديلات الطفيفة ، وسميت هذه الطبعة طبعة بور رويال . وكانت تباع عند غليوم ديسبريز ، شارع سان جاك . وفي عام ١٧١١ ،

سلم الكاهن لويس بيريه بن جيلبرت نص المخطوطة الى دير سان جرمان دي برييه ، ومنه انتقل الى المكتبة الوطنية . وقد سُجل في التراث الفرنسي تحت رقم ٩٢٠٢ . هناك ايضاً في المكتبة الوطنية نسخة من النصوص الأصلية للخواطر نشرت عام ١٦٧٠ وسلمها احد أحفاد جيلبرت بيريه عام ١٧٣١ الى محفل سان مور في سان جرمان دي برييه .

وبحسب طبعة بور رويال ، أجريت طبعات كوندورسيه (١٧٧٦) و بوسو و اندريه . وفي ١٨٤٤ ، قدم فوجير طبعة بحسب المخطوطة تكاد تكون تامة . ثم جاءت طبعات هافيه (١٨٥١) و مولينييه (١٨٧٧) و ميشو (١٨٩٦) (كان هذا الأخير اول من اتبع ترتيب المخطوطة بـسوبرونشفيغ) تأليف وخواطر ، في تصنيف جديد ، ١٨٩٧) . وفي ١٩٠٦ ، عاد غازيه الى تبني تصنيف بور رويال تقريباً . أخيراً ، جرب شوفالييه (١٩٢٥) و ماسي (١٩٢٩) تصنيفات جديدة ، وكذلك تورنور (١٩٣٨) الذي نسخ النص بجميع رواياته وتعديلاته .

منتخبات

الفرق

بين الفكر الهندسي والفكر الاريب

في الميدان الأول^(١)، تكون المبادئ ملموسة ولكنها غير متداولة بحيث يضعب الالتفات إليه، وذلك بسبب نقص العادة. لكن ما ان نلتفت اليه حتى تظهر لنا المبادئ بوضوح تام . ولا بد ان يكون فكرنا بعيداً عن السداد كما نحاكم محاکمة مغلوبة حول مبادئ هي من البروز بحيث يكاد يستحيل ان تغيب عنا .

اما في الميدان الثاني ، فتكون المبادئ متداولة وأمام اعين الجميع . ما علينا ان نجهد انفسنا وان نكلفها عناء شديداً . يكفي ان نتمتع بنظرة سليمة ، ولكن لا بد من هذه النظرة ؛ لأن المبادئ في هذا الميدان هي من الدقة والكثرة بحيث يكاد يستحيل ان لا يغيب

(١) نستعمل حالياً في الكلام الدارج : الفكر العلمي
والفكر الادبي .
العرب

بعضها عنا .

الا ان اهمال احد المبادئ يؤدي بنا الى الخطأ .
لذلك ، يجب ان تتحلّى بنظرة واضحة جداً كي نرى
المبادئ كلها ، كما يجب ان تتحلّى بمدّ يد بفكر 'محكم' كي
لا نخطئ في محاسنتنا حول المبادئ المعروفة .

لو تمتع اصحاب الفكر الهندسي بنظرة خاطفة
سليمة لكانوا جميعاً من الأريين ، لانهم لا يحاكمون
محكمة مغلوطة حول ما يعرفون من مبادئ . ولو تمكن
اصحاب الفكر الأريب من الالتفات الى المبادئ
الهندسية غير المألوفة لكانوا من الهندسين .

ان عجز بعض الازهان الأريبة عن الالتفات نحو
المبادئ الهندسية هو الذي يجعلها غير هندسية . اما
ما يجعل بعض الازهان الهندسية غير أريبة فكونها
لا ترى ما امامها دفعة واحدة . وبما ان هذه الفئة ألفت
المبادئ الهندسية الواضحة ، واعتادت ان لا تحاكم إلا
بعد رؤيتها رؤية جيدة ومعالجتها معالجة جيدة ؛ لذلك
تلقه في ميدان الفكر الأريب . ففي هذا الميدان تكاد
المبادئ لا ترى ، ونحن نحس بها اكثر مما نراها . اننا
نلاقي صعوبة لامتناهية لظهارها للذين لا يحسونها

من تلقاء ذاتهم : فهي اشياء من الدقة والكثرة بحيث لا بد من حسن مرهف يحس بها ، ويحكم بصواب واحكام بمقتضى هذا الشعور ، دون ان يتمكن في اغلب الاحيان من البرهنة عليها بالترتيب كما هي الحال بالنسبة الى الهندسة . اننا لا نحيط علماً بمبادئها ؛ اما الشروع بذلك فهو لعمري امر ما له من نهاية . يجب ان نرى الشيء رأساً ، بنظرة واحدة ، لا استناداً الى تقدم المحاكمة ، على الاقل حتى درجة معينة . وعليه ، قلما يكون اصحاب الفكر الهندسي من الأريين ، وأصحاب الفكر الاريب من الهندسين ؛ لان الاولين يودون تناول الاشياء الدقيقة بصورة هندسية انهم يستوجبون الهزء لأنهم يريدون الابتداء بالتعاريف ثم بالمبادئ ؛ وهذه ليست طريقة العمل في هذا النوع من المحاكمة . هذا لا يعني ان الفكر لا يلجأ الى مثل هذه العمليات ، ولكنه يقوم بها بصورة ضمنية ، طبيعية ، ودوغما صنعة .

اما الاذهان الاربعة التي ألفت الحكم بنظرة واحدة فتكون على حال من الدهشة - حينما نقدم لها قضايا يحتاج الدخول فيها الى المرور بتعاريف ومبادئ مفصلة - بحيث تنفر منها وتشمئز .

ولكن الازهان المريضة ليست بالأربية ولا بالهندسية .
ان اصحاب الفكر الهندسي ، والهندسي فقط ،
يتمتعون اذن بفكر سديد ، لكن بشرط ان نشرح لهم
كل الاشياء بالتعاريف والمبادئ ؛ وإلا فسَدَ فكرهم
لأنهم لا يكونون سديدي الحكم إلا في المبادئ الجلية .
اما اصحاب الفكر الاريب ، والاريب فقط ، فلا
يلكون الصبر على النزول الى مبادئ الاشياء التأملية
والتصورية التي لم يألوها ولم يروها قط في العالم .

الانسان والطبيعة

انظروا الى اين تقودنا العلوم الطبيعية . فاذا لم تكن
صحيحة لم يكن هناك حقيقة في الانسان ؛ واذا كانت
صحيحة فانه يجد فيها موضوعاً كبيراً للخشوع ويضطر
الى التواضع بهذه الصورة او تلك . وبما انه لا يستطيع
البقاء دون ان يؤمن بها ، لذلك اثنى له قبل ان يتوسع
في ابجائه عن الطبيعة ان يتأملها مرة يجد وتودة وان
ينظر في نفسه أيضاً . فليأمل الانسان الطبيعة كلها في
عظمتها التامة السامية ، وليبتعد نظره عن الاشياء الوضيعة
المكتنفة بها . ولينظر الى هذا النور الساطع كمصباح خالد

ينشر الضياء على العالم ، ولتبدُ له الارض كنقطة بالقياس الى الدورة الواسعة التي يرسمها هذا الكوكب ، وليعجبُ لأن هذه الدورة الواسعة نفسها ليست سوى نقطة صغيرة بالقياس الى الدورة التي ترسمها الكواكب السابحة في الفلك .

فاذا توقف بصرنا عند هذا الحد فلتتخطاه تخيلتنا . ولكنها تكلّ ولا ينضب معين الطبيعة . ان كل هذا للعالم المنظور ليس الا ذرة بسيطة في كنف الطبيعة الواسع . عبثاً نرومها بالفكر . عبثاً نوسع مفاهيمنا فيما وراء المدى المتصور . ولكننا لا نأتي في الحقيقة الا بذرّات بالقياس الى حقيقة الأشياء . انها كرة مركزها في كل مكان ومحيطها ليس في اي مكان .

ليعد الانسان بعدئذ الى ذاته ، وليتر ما هو بالنسبة الى ما هو موجود ، وليعتبر نفسه كتائه في هذا الحيز المهجور . وليتعلم وهو في 'مقامه في هذا الحبس الصغير - وأعني العالم - كيف يُقدر الأرض والممالك وكيف يقدر ذاته حق قدره .

ما الانسان في اللانهاية !?

وهذه أيضاً أعجوبة أخرى . فليفتش في أدق ما يعرف من الأشياء . ان الذئبية الصغيرة تقدم له في ضالة جسمها اطرافاً اشد ضالة ، وقوائم ذات مفاصل ، وعروقاً في القوائم ، ودماء في المروق ، واختلاطاً في هذه الدماء ، وقطرات في هذه الاخلاط ، وأبخرية في هذه القطرات ... فليقسّم هذه الاشياء الاخيرة وليتعب نفسه في هذه المفاهيم وليكن آخر ما يصل اليه هو موضوع كلامنا . إنه قد يعتقد ان هذا اصغر ما في الطبيعة . ولكنني سأكشف له فيه عن هوة جديدة . اود ان ارسّم له لا العالم المنظور فحسب ، بل سعة الطبيعة في مجال هذه الذرة المحدودة . فليَرَ فيها عوالم لا متناهية العدد لكل منها فلكه ونجومه السيارة وأرضه ، بنفس نسبة العالم المنظور . وليتَه في هذه المعجائب المدهشة بضاًلتها إدهاش المعجائب الأخرى بسعتها .

ان جسمنا ذرة بالنسبة الى العالم ، وهذا العالم ذرة بالنسبة الى الكل ، ولكن هذا الجسم عملاق بل عالم تام بالنسبة الى العدم الذي لا نستطيع بلوغه . فمن لا يعجب لذلك ؟ من ينظر الى نفسه على هذه الصورة يذعر من ذاته . انه يتأمل نفسه بين اللانهاية والعدم فيرتجف لرؤية هذه

المعجائب . الا ان فضوله فيما أعتقد سيتحول الى تعجب
فيصبح اكثر استعداداً لتأملها في هدوء .

والحقيقة ما الانسان في الطبيعة ؟ انه عدم بالنسبة
الى اللانهاية ، كل بالنسبة الى العدم ، حد اوسط بين لا
شيء وكل شيء . انه عاجز عن رؤية العدم عجزه عن
رؤية اللانهاية ، وان غاية الاشياء ومبدأها سر مفلق
بالنسبة اليه . فهل يعرف اذن غير الحد الأوسط من
الأشياء ؟

كل الاشياء عن العدم صادرة واليه سائرة . فمن
ذا الذي يتتبع هذه المسالك المدهشة ؟ ان صانع هذه
المعجائب يفهمها اما البقية فمماجزون .



نظن انفسنا اقدر على الوصول الى لب الاشياء منا
على الاحاطة باطارها الظاهري . ان المدى المنظور
يتخطى طاقتنا بشكل ملحوظ . لكن ، بما اتنا
تتخطى الأشياء الصغيرة ، نحسب انفسنا اقدر على
فهمها . بيد ان السير نحو العدم ونحو الكل يتطلب نفس
المقدرة . فكل الامر ينحسج الى مقدرة لامتناهية

ويخيل إلي ان من يفهم المبادئ الاخيرة قادر ايضا على معرفة اللانهاية . الأول متعلق بالثاني والواحد يؤدي الى الآخر . ان هذين الحدين المتطرفين يتلامسان ويتلاقيان من فرط التباعد ، .. يتلاقيان في الله وفي الله وحده . فلنعرف مدى طاقتنا . نحن شيء ما ، ولكن لسنا كل شيء . ما نحصل عليه من وجودنا يُخفي عنا معرفة المبادئ الأولى الناشئة عن العدم ، والقليل الذي نحصل عليه يحجب عنا رؤية اللانهاية . ان عقلنا يحتل في مقام المعقولات نفس المرتبة التي يحتلها جسمنا في مدى الطبيعة . إننا محدودون في كل شيء ، وهذه الحالة المتوسطة بين "حدين موجودة في كل ملكاتنا . فحواسنا لا تدرك اي شيء مفرط .

الضجة الكبيرة تصم آذاننا ،
والنور القوي يبهّر أبصارنا ،
والبعد الزائد والقرب الزائد يمنعان الرؤية ،
والطول الزائد والقصر الزائد في الكلام يدمغانه
بالإيهام ،

والحقيقة الزائدة تذهلنا وتحيرنا ، أعرف اشخاصاً

لا يستطيعون ان يتصوروا انه اذا حذفنا أربعة من صفر
بقي لدينا صفر .

ان المبادئ الاولى مفرطة في البدهة بالنسبة الينا ،
والمزيد من اللذة مضجر مكدر ،

والمزيد من توافق الالحان لا يقع موقع الاستحسان ،
والحُسنى المفرطة مَسْخَطة .

إننا لانحس بالحر الزائد ولا بالقر الزائد .
فالصفات المفرطة عدوة لنا : اننا نكف عن الاحساس
بها وتآلم منها . المزيد من الشباب والمزيد من الشيخوخة
يعيقان الفكر . حتى لكأن الأشياء المفرطة غير موجودة
أبداً بالنسبة الينا ، او كأننا غير موجودين بالنسبة
إليها .

هذا هو وضعنا الحقيقي . وهذا ما يجعلنا عاجزين
عن المعرفة الموثوقة والجهل المطلق . اننا نسير في طريق
وسط واسع الأرجاء ، حائرين مترددين دائماً ، مدفوعين
من طرف لآخر . وحيثما لمحض الرحال تزعزع الإمال
كأننا أمام السراب . انها الحال الطبيعية بالنسبة الينا
ولكنها مخالفة كل المخالفة لميولنا . فنحن نتعرق شوقاً
لمستقر ، لقاعدة ثابتة نبني عليها برجاً يتسامى الى

اللانهاية ؛ الا ان كل أُنسنا تنهار، وتندشق الأرض حتى
عميق الأغوار .

علينا اذن ان لا نفتش عن الأمان وأن لا نبحت عن
الرسوخ . ان عقلنا يُخدع دائماً ، الظواهر المتقلبة . لا
شيء بقادر على تثبيت المتناهي الحدود بين اللامتناهيين
المحققين به ، الهاربين منه .

لذلك لا راحة لنا إلا في البقاء على وضعنا الذي
رسمته الطبيعة لنا . وبما ان هذا الحسد الوسط المخصص
لنا بعيد دائماً عن الحدين المتطرفين فما جدوى الزيادة
للطيففة في معرفة الأشياء ؟

الخيلة

انها هذا القسم المضلل في الانسان ، صاحبة الخطأ
والبُطلان . وبما يزيد ما خبئاً انها ليست دائماً كذلك ،
فلو كانت كاذبة دائماً لأصبحت قاعدة معصومة للصواب ،
لكن بما انها كاذبة في اغلب الأحيان ، لذلك لا تنبىء
أبدأ عن نوعها لانها تمهر الخطأ والصواب بنفس الطابع .
انني لا أتحدث عن المجانين ، بل عن أعقل العقلاء .
ففي اوساطهم تتمتع الخيلة بملكة اقناع البشر . وعبثاً

يزعق العقل ويصيح ، ولكنه غير قادر على تحديد قيمة الأشياء .

هذه القوة الصلغة ، عنوة العقل ، هذه القوة التي تسر بمراقبته والتحكم به قد أقامت في الانسان طبيعة اخرى لتظهر مدى جبروتها . إن لها سعادها وتعساءها ، أصحاءها ومرضاها ، أغنياءها وفقراءها . انها تدفع العقل الى الايمان والشك والانكار . وهي توقف الحواس وتمكنها من الاحساس ، ولها مجانينها وعقلاؤها : لا شيء يفيظنا أكثر من رؤيتنا انها تملأ أصحابها سروراً واعتداداً أكثر مما يفعل العقل . والمهاهرون بالخيلة يسرون بأنفسهم أكثر مما يسر الحذرون . انهم يرمقون الناس بفطرسه ويحادلون بجرأة وثقة ، ولا يفعل الآخرون ذلك الا بخوف وحذر . وهذه البشاشة المترسمة على الوجه غالباً ما تكسبهم تفوقاً في نظر السامعين ، لأن العقلاء الوهميين يتمتعون بخطوة عظيمة لدى حكام من هذا الطراز ، ان الخيلة لا تستطيع ان تجعل المجانير عقلاء ، ولكنها تجعلهم سعداء . اما العقل فلا يجعل أصحابه الا بائسين . فالخيلة تعقد على رؤوسهم أكاليل المجد ، اما العقل فيغمرهم بالخزي والهوان .

من ذا الذي يوزع الشهرة؟ من ذا الذي يهب الإجلال
للأشخاص والأعمال والقوانين والعظماء غير هذه الملكة
المصورة؟ وكل ما في الأرض من ثروات كم هي قليلة بغير
موافقتها !

الا تقول بان هذا القاضي الذي يفرض بهيبة
شيخونته الاحترام على شعب بأمره ، يحكم نفسه بعقل
خالص سام ، وانه يحكم على ماهية الأشياء دون ان يقف
على هذه الظروف الباطلة التي لا تحدش الا تخيلة الضعفاء !
انظر اليه وهو يدخل الى مجالس الوعظ معزراً رسوخ
العقل بلهفة المحبة . ها هوذا على أتم الاستعداد لسماع
الوعظ باحترام أنموذجي . فاذا طلع عليه الواعظ
وكانت الطبيعة قد أعطته صوتاً مبعوحاً ووجهاً غريباً
فانني أراهن على ان شيخنا سيفقد وقاره . مهما تكن
العظمة مشحونة بالحقائق العظيمة .

ان أعظم فيلسوف في العالم اذا كان واقفاً على لوحة
عريضة جداً وتحت قدميه هاوية سحيقة فان تخيلته هي
التي ستتقلب ولو أقنعه عقله بحسن السلامة . ان أشخاصاً
كثيرين لا يتمكنون من تحمل هذه الفكرة دون ان
يشحب لونهم ويسيل عرقهم .

خواطر متفرقة

ام شيء في الحياة اختيار المهنة ، وان عامل الصدفة ليتحكم بها . فالعادة تصنع البنائين والجنود والمسقفين يقال : فلان بناء سقوف ممتاز ؛ كما يقولون في معرض الحديث عن الجنود : انهم معتموهون . وبالعكس ، يقول الآخرون : « الحرب وحدها عظيمة ، اما باقي البشر فخبِيثون » . واننا لنصطفي متأثرين بما نسمع من مديح يكال هذه المهن في عهد الطفولة وبما يبلغ مسامعنا من استهجان لكل المهن الأخرى . ان العادة قوية الاثر بحيث اننا نخلق جميع الأوضاع الانسانية من اولئك الذين لم تجعل الطبيعة منهم إلا بشرأ . ولا شك في ان الطبيعة ليست بمثل هذه النمطية والرتابة . ان العادة اذن هي التي تفعل كل ذلك لأنها تعاكس الطبيعة . بيد ان الطبيعة تتفوق احياناً وتبقي الانسان على غريزته رغم كل عادة حسنة كانت ام خبيثة .



إن الطبيعة تقتدي بذاتها : فالحبة الملقاة في الأرض الطبيعية تثمر . وكذلك المبدأ المغروس في الفكر السليم

يعطي أكله .

كل شيء من صنع نفس المولى وخاضع لتوجيه نفس
المولى : الجذر والاغصان والثمار ، المبادئ والنتائج .



ان الطبيعة تكرر دائماً نفس الأشياء ، وتعيد
السنوات والأيام والساعات . وكذلك تتعاقب الأعداد
والمسافات . هكذا يحصل نوع من اللاتناهي والخلود .
هذا لا يعني ان من هذه الاشياء كلها ما هو خالداً لا متناه ،
بل ان هذه الكائنات المحدودة تتكاثر الى ما لا نهاية .
وعليه ، ليس هناك في اعتقادي ما هو لا متناه الا العدد
الذي يحقق لها التكاثر .



ان الزهو متأصل في قلب الانسان لدرجة ان الجندي
والوصيف والطباخ والحمال يتباهى ويود لو يكون له
معجبه . بل ان الفلاسفة انفسهم يودون الشيء نفسه .
وأولئك الذين يهاجمون ذلك بكتاباتهم انما يرغبون في
الحصول على شرف الكتابة الحسنة . وكذلك الذين
يقرأون كتاباتهم يرغبون في الحصول على شرف القراءة .

ولربما كان كاتب هذه الكلمات يحس بهذه الرغبة ،
ولعل أولئك الذين سيقرأون هذه الكلمات سيشعرون
بهذه الرغبة أيضاً ...



من يود ان يعرف زهو الانسان حق المعرفة فما عليه
الا ان ينعم النظر في اسباب الحب ونتائجه . ان سببه
في منتهى البساطة ونتائجه في منتهى العظم . فهذا
الشيء القليل البسيط يحرك الأرض والأمراء والجيوش
بل والعالم أجمع .

لو كان أنف كليوباتره أقصر بقليل لتغير وجه الأرض .



كان كرامويل سيفزو أرض المسيحية كلها ، ولولا
تلك الحبة البسيطة من الرمل التي سدت قناته البولية
لأطاح بالأسرة المالكة ، ولكانت أسرته قوية العود الى
الأبد . الا ان هذه الحصوة الصغيرة استقرت هناك
فسببت وفاته ، فلبست أسرته لباس الذل ، واستتب
السلم في كل بقعة ، وعاد الملك الخلع الى عرشه .



خلود النفس

ان خلود النفس امر عظيم الخطر ، كبير الأثر ،
لدرجة ان افعالنا وافكارنا تسلك طرقاً مختلفة تبعاً لوجود نعيم
دائم او عدم وجود مثل هذا النعيم ، بحيث يستحيل
علينا ان نختط خطة بعقل ودراية الا بتنظيمها وفق
هذه النقطة التي يجب ان تكون غايتنا الأخيرة .

وعليه ، ان مصلحتنا الأولى وواجبنا الأول تَبَيَّن
هذا الموضوع الذي يرتبط به كل سلوكنا . ولهذا السبب ،
من بين غير المقتنعين ، أميزُ تمييزاً كبيراً بين أولئك الذين
يسعون جهدهم لمعرفة الامر وأولئك الذين يعيشون دون
ان يفكروا فيه .

لا يسعني الا ان أشعر بشعور الشفقة إزاء أولئك
الذين يتألمون بصدق من هذا الشك ، ويعتبرونه آخر
المصائب ، ولا يدخرون جهداً للخلاص منه ، فيجعلون
من هذا البحث شغلهم الشاغل .

اما الذين يمتصون حياتهم دون ان يفكروا في النهاية
الأخيرة للحياة ، والذين لا يحدون في انفسهم ما يقنعهم

ولا يبحثون عن الهدى في مكان آخر ، ولا يحاولون ان يتبينوا هل هذا الامر هو من الامور التي تتميز بأساس راسخ رغم ايهامها في حد ذاتها ، ... اما هؤلاء فأنظر اليهم نظرة أخرى .

ان هذا الامل في قضية تتعلق بكيانهم وخلودهم يثير كوامن غيظي اكثر مما يستدر رحمي وشفقي . انا لا أقول ذلك بدافع من التقوى ، بل اعتقد انه يجب ان نتحلى بهذا الشعور بدافع من المصلحة الانسانية والمنفعة الذاتية . ولا ينبغي في سبيل ذلك إلا ان نرى ما يرى الاشخاص المعاديون .

لا ينبغي ان تكون لنا نفس ربيعة التسامي كي ندرك بان الحياة الدنيا لا تنطوي على مسرة حقيقية راسخة ، وان كل ملذاتنا ليست سوى لهو عابر ، وان مصائبنا ما لها من نهاية ، وان الموت الذي يهددنا في كل لحظة سيمضي بنا لا محالة إما الى القناء السرمدى او الشقاء الأبدي .

لا شيء أصح من هذا الامر .

لا شيء اقطع من هذا الامر .

فلنتظاهر إذن بالجرأة ما طاب لنا . تلك هي النهاية

التي تنتظر أجمل حياة في الدنيا .
فلنمعن النظر ولنفكر في الامر . ولنقل بعدئذ اليس
حقاً ان لا جدوى في هذه الحياة الا بترقب حياة أخرى ،
وان لا سعادة الا بنسبة دُنونا منها . وكما انه لا شقاء
للمؤمنين المهتدين ، كذلك لا سعادة للضالين .
انه اذن لشر عظيم ان يعيش المرء في مثل هذا
الشك . ولكن الواجب يقتضي على الأقل ان نبحت اذا
كنا في مثل هذه الحال . من يخامر الشك نفسه ويعرض
عن البحث فهو بائس ظالم . فاذا كان في الوقت نفسه
مستريح البال قرير العين فلتأخذه نشوة الزهو وفورة
الابتهاج . ان لساني عاجز عن وصف مثل هذا المخلوق
المعتوه .

.. متفرقات

فلنتصور عدداً من الأشخاص مكبلين بالأغلال ،
محكومين جميعاً بالاعدام ، يُنحر قسم منهم كل يوم امام
ناظر الآخرين ، ويرى الباقيون وضعهم الخاص في وضع
امثالهم ، وينتظرون دورهم وهم يتبادلون النظرات
بقلوب محترقة بالألم ، ونفوس فاقدة الأمل . هذه هي

صورة الوضع البشري .

فلنتصور رجلاً محبوساً في زنزانه ولا يعلم هل صدر
الحكم عليه . ولنتصور ان لديه ساعة من الوقت ليعرف
حقيقة الأمر مع العلم بأن هذه الساعة تكفي لالغاء الحكم
اذا علم بصدوره . انه لشيء مخالف للطبيعة ان يقتل
هذه الساعة في اللعب بالورق لا في الاستعلام عن الأمر .
لا يثبت وجود الله اندفاع' الذين يفتشون عنه
فحسب ، بل ايضاً عماء الذين لا يفتشون عنه

حينما أنعم النظر في قصر حياتي الفارقة في امتداد
الأزل ، وحينما أتأمل في حيز جسمي المحدود الفارق في
الأفضاء اللامتناهية ، في الأفضاء التي اجهلها وتجهلني ،
أحس بالذعر والدهشة لرؤية نفسي هننا لا هنالك ،
لأنه لا شيء يبرر وجودي هننا لا هناك ، اليوم لا
آنذاك . من ذا الذي وضعني في هذا المجال ؟ بمشيئة مَنْ
وتوجيه من مُخصص لي هذا الزمان، وُعِين لي هذا المكان؟

ان الصمت الدائم الذي تلزمه هذه الافضاء
اللامتناهية يشيع في نفسي الرهبة .



كم من عوالم تجهلنا !



لِمَ انا محدود المعرفة ، محدود القامة ، محدود العمر؟
وما السبب الذي دفع الطبيعة الى ان تكسبني هذه الصفات ،
وتهبني هذا العدد من السنوات ؟ ان الأعداد لا متناهية
وليس هناك ما يدعو الى تفضيل احدها على الآخر .



مهما تكن الملهاة جميلة الأجزاء ، فان الفصل الاخير
غارق في الدماء .



الموت المفاجيء وحده مدعاة للخشية . لذلك يبقى
الكاهن المرشد لدى العظماء .



ما الذي يدعوم الى القول بأننا غير مبعوثين ؟ أيها
أشقى : الولادة ام البعث ؟ الوجود بعد العدم ام الوجود
بعد الوجود ؟ ان العادة تجعل احدهما يسيراً ، ونقص
العادة يجعل الآخر مستحيلاً . يا لها من محاكمة مبتذلة !

● الرهات

ان النفس حائلة في الجسد ، وفيه تلقى الأبعاد
والزمن والعدد . وهي تعقل ظواهر الامور وتسمى ذلك
ماهية ، ضرورة ، ولا يسعها ان تؤمن بشيء آخر .

اذا اضيف العدد الواحد الى اللانهاية لم يزدها شيئاً ،
شأنه في ذلك شأن وحدة الطول القياسية بالنسبة الى
المدى اللامتناهي ، فالحدود يتلاشى امام اللانهاية ويصبح
عدماً محضاً . هذه هي حال فكرنا امام الذات الالهية ،
وعدالتنا امام العدالة الربانية . ان الاختلاف بين عدالتنا
وعدالته كالاختلاف بين العدد الواحد واللانهاية .

ان عدالة الله واسعة كرحمته . فيجب ان نتقبل
العدل ازاء الملعونين اكثر من الرحمة إزاء المصطفين

المختارين .

نحن نعرف ان هناك لا نهاية ، لكننا نجعل ماهيتها .
كما نعلم ان الأعداد غير محدودة ، لذلك ثمة لا نهاية
عددية . غير اننا لا ندري ما هي : فهي ليست بالعدد
الشفع ولا بالعدد الوتر ، لان ماهيتها لا تتبدل ابداً اذا
مأضيف اليها العدد الواحد . الا انها عدد ، وكل عدد شفيع او
وتر (صحيح ان ذلك ينطبق على كل عدد محدود) .
وعليه ، يمكننا ان نعرف بان هناك الها دون ان نعرف
ما هو .

ألا توجد أبداً حقيقة جوهرية ، لأننا نرى أشياء
كثيرة ليست أبداً الحقيقة بذاتها ؟
اننا نعرف اذن وجود المحدود وماهيته ، لأننا مثله
محدودون ممتدون .

ونعرف وجود اللانهاية ونجعل ماهيتها ، لان لها
امتداداً مثلثا ، وليست محدودة مثلثا .
بيد اننا لا نعرف وجود الله ولا نعلم ماهيته ، لأنه
بلا امتداد ولا حدود .

ولكننا نعرف وجوده بالايان . وقد بينت اننا

نستطيع معرفة وجود شيء دون معرفة ماهيته .



إذا كان هناك إله فان العقول لا تدركه اطلاقاً لأنه
بلا اعضاء ولا حدود. انه لا يملك اي علاقة تجانس معنا.
نحن اذن عاجزون عن ان نعرف ما هو ، وهل هو
موجود . فمن يجرؤ اذن على الشروع بحل هذه المسألة ؟
اننا لا نجرؤ ، لأننا لا نملك أي علاقة تجانس معه .

من ذا الذي ينحي باللائمة على المسيحيين لانهم لا
يستطيعون اقامة الدليل على معتقدهم ؟

انهم يعلنون امام الملا انها حماقة ! ثم تجهرون
بالشكوى لانهم لا يثبتونه . لو فعلوا ذلك لمسا برّوا
بكلامهم .

إن عجزهم عن تقديم الحجج يحلهم منطقيين مع
انفسهم .

— صحيح ، ولكن هذا الأمر لا يعذر من يتقبل
المعتقد .

— فلننظر الى هذه النقطة بعين الفحص . ولنقل :

« الله موجود او غير موجود » . ولكن الى أي اتجاه
غيل ؟ ان العقل لا يستطيع ان يمتن شيئاً . هناك
احتمالان في نهاية هذا الشوط اللامتناهي . فعلام تراهن ؟
بالعقل لا يستطيع ان تفعل لا هذا ولا ذاك . بالعقل لا
تستطيع ان تدافع عن اي من الاثنين .

لا تلم اذن من اصطفوا لانك لا تعلم عن الأمر شيئاً .
— كلا . انني لا ألومهم لأنهم قاموا بهذا الاصطفاء ،
بل لأنهم قاموا باصطفاء . الصحيح هو ان لا تراهن
اطلاقاً .

— أجل . ولكن لا بد من الرهان . ليس الأمر
رهنأً بارادتنا . انك مضطر ، فأيهما تختار ؟ بما انه لا
مفر من الاختيار فيجب ان نرى ما هو اقل استعلاء
لاهتمامك . وان عقلنا لا يتأثر بأي من الاصطفاءين لأنه
لا بد من الاصطفاء .

لقد انتهينا من هذه النقطة .
ولنوازن بين الريح والخسارة اذا قلنا بوجود الله .
هناك حالتان : اذا ربحت فزت بكل شيء . واذا
خسرت فانك لا تخسر شيئاً .
راهن اذن على وجوده دون تردد .

— هذا رائع . حقاً يجب ان اراهن . ولكن لعلني اغامر بالكثير .

— بما ان احتمال الخسران كاحتمال الريح فمن الغفلة ان لا تغامر بحياتك لتفوز بالأبدية وتحظى بالسعادة .

حيثما توجد اللانهاية فيجب ان نهب كل شيء اذا كانت احتمالات الخسران محدودة .

لا طائل من القول ان الربح غير مؤكد وأن المغامرة مؤكدة . كل مراهن يغامر عن يقين ليربح دون يقين . إلا انه يغامر حقاً بالحدود لينال ما هو محدود ، بشكل غير مؤكد ؛ وذلك دون ان يخطئ بحق العقل . وعليه ، ان عرضنا قوي راسخ الاركان . اننا نغامر بالحدود في رهان تتكافأ فيه احتمالات الربح والخسران ، لتفوز بالأبدية . ان لهذا الأمر دلالة .

— اعترف بذلك . لكن الا توجد وسيلة لرؤية خوافي الأمور .

— بلى ، الكتب المقدسة وغيرها .

— ولكنني مقيد اليدين مطلق الفم . انني مجبر على الرهان ولا اتمتع بالحرية . ثم انني مخلوق بحيث لا يسعني الايمان ، ماذا تود اذن ان افعل ؟

- قولك صحيح . لكن إعرف على الأقل عجزك
عن الايمان . وحاول ان لا تقنع نفسك بالحجج ، بل
بانقاص أهوائك . انك تود لو تمضي الى الايمان ولكنك
لا تعرف طريقه . تريد ان تبرأ من الكفر ، وتطلب
البسم الشافي منه . استفد اذن من غيرك ، بمن 'شفوا من
هذا الداء . اتبع الطريقة التي ابتدأوا بها ، طريقة
التصرف كما لو كانوا مؤمنين ، وتناول الماء المقدس ، وإقامة
القداس ، الخ ...

ختم هذه المقالة : ما ضررك لو اتبعت هذه
الطريق ؟ انك ستصبح مؤمناً شريفاً ، متواضعاً
شكوراً ، كريماً صدوقاً . صحيح انك ستفقد اللذات
الآثمة ، لكن الا يوجد سواها ؟ انك ستكون راجحاً في
هذه الحياة . فكلما خطوت خطوة في هذه الطريق
تأكدت من الفوز وتبدت لك تفاهة ما تغامر به ،
لدرجة انك ستدرك في نهاية المطاف انك اصطفت
شيئاً مؤكداً لامتناهياً مقابل لا شيء .

- ان هذا الكلام يجد سبيله الى لي ويأخذ بمجامع
قلبي .

- اذا اعجبك هذا الكلام وبدا لك قوي الأثر فاعلم

انه من صنع شخص خر على ركبتيه ليتوجه بصلواته من
أجلك الى الله العزيز القدير .

العقل والقلب

لا نعرف الحقيقة عن طريق العقل فحسب ، بل
ايضاً عن طريق القلب . وبهذه الطريقة الثانية ندرك
المبادئ الاولى التي عبثاً تحاول المحاكاة العقلية محاربتها .
ان البيرونيين المتشككين الذين لا يستهدفون سوى ذلك
يبدلون جهودهم بلا طائل . اننا على يقين من اننا غير
حالمين . ومهما نكن عاجزين عن اثبات ذلك عن طريق
العقل ، فان هذا المعجز لا يدل الا على ضعف عقلنا
لا على عدم رسوخ معارفنا كما يزعمون ، لأن معرفة المبادئ
الاولى ، كوجود المكان والزمان والحركة والعدد ،
راسخة رسوخ اي من المعارف التي نحصل عليها عن
طريق المحاكاة العقلية . ينبغي للعقل ان يستند الى
معارف القلب والغريزة . (فالقلب يشعر بأن هناك
ثلاثة ابعاد في المكان ، وان الاعداد لامتناهية . والعقل
يبرهن بعدئذ على انه لا يوجد ابدأ عددان مربعان
احدهما ضعفا الآخر . ان المبادئ 'تبلغ بالشعور' ،

والقضايا بالاستنتاج . وفي كلتا الحالتين نحصل على معرفة يقينية ، ولكن بطرق مختلفة) . انه لأمر مضحك وغير مُجد ان يطلب العقل الى القلب اثباتات على مبادئه الاولى ليوافق عليها ، ومن المضحك ايضاً ان يطالب القلب العقل بأن يحس بكل القضايا التي يثبتها ليتقبلها . فما على هذا المعجز اذن الا ان يفيد في اذلال العقل الذي يود ان يحكم على كل شيء كما لو كان منفرداً باطلاعنا . بل حبذا لو كنا في غنى عنه ، ولو كنا نعرف الاشياء كلها عن طريق القلب والغريزة ! ولكن الطبيعة ضنت علينا بهذه النعمة . انها لم تَحَبِّبْنَا الا القليل من امثال هذه المعارف . اما المعارف الاخرى فلا تكسب الا عن طريق المحاكمة العقلية .

لذلك ، يعيش كل أولئك الذين هدام الله الى الايمان عن طريق الشعور القلبي ، في غمرة من السعادة ، مقتنعين بصورة مشروعة . اما من 'حرموا هذه النعمة فلا يمكن ان نفرس فيهم الايمان الا عن طريق المحاكمة ، ريثما ين الله عليهم بالايمان عن طريق الشعور القلبي ، وبغيره لا يكون الايمان الا ذا صفة انسانية وغير مفيد للخلاص .



القلب هو الذي يحس بالله ، لا العقل .



للقلب مبررات لا يعرفها العقل .

القوانين والعدالة

... علام سُيرسي نظام حكمه في العالم ؟ أعلى نزوة
كل فرد ؟ يا لها من فوضى ! أم على العدالة ؟ ولكنه لا
يعرفها .

لا شك انه لو كان يعرفها لما أقام هذا المبدأ الانساني
العام القائل بأنّ على كل فرد ان يتبع عادات بلاده ،
ولخضعت جميع الشغوب للعدالة الحقّة ، ولما اقتدى
المشرعون بنزوات الفرس والألمان عوضاً عن الاقتداء
بهذه العدالة الثابتة الدائمة . وحينئذ كنا نراها سائدة في
كل دول العالم وفي كل الأزمنة محل العدل او الظلم الذي
يتبدل طابعه بتبدل الأقطار . ان احتداد المحاكم ينقلب
لأدنى تحول في الارتفاع القطبي ، كما ان مصير الحقيقة
يتقرر استناداً الى أدنى تحول في خطوط الطول . واذا
انقضت على الحياة سنوات محدودة تبدلت القوانين
الأساسية . ان للقانون توار يخه ، ودخول زحل برج

الأسد يدلنا على اصل هذه الجريمة او تلك . فيا لها من عدالة مضحكة يحدها مجرى نهر ! ما هو حق قبل جبال البيرينيه باطل فيا وراهها .

انهم يقولون ان العدالة ليست في هذه العادات ، بل تكن في القوانين الطبيعية المعروفة في كل قطر . لا جرم انهم كانوا يؤكدون ذلك بعناد لو ان الصدفة التي بذرت القوانين البشرية وقعت على قانون واحد على الأقل يتصف بالشمول . ولكن السخرية شاءت ان تكون اهواء البشر من التنوع بحيث استحال وجود مثل هذا القانون .

ان الاختلاس والزنا وقتل الابناء والآباء قيض لها جميعاً ان تعتبر من الأفعال الحميدة . اي شيء اعجب من ان يتمتع احدهم بحق هدر دمي لا لشيء الا لأنه يقطن في الطرف الآخر من الحدود ، ولأن حاكم بلاده على خصام مع حاكم بلادي ، هذا مع العلم بأنني لست على خلاف مع هذا الشخص .

هناك ولا شك قوانين طبيعية ، ولكن هذا العقل الكيئس الفاسد قد افسد كل شيء .

ونشأ عن هذه البلبلة ان الاول يجعل جوهر العدالة

في سلطان المشرع ، وآخر في مصلحة الحاكم ، وغيره في
 العرف الحالي . وهذا هو اضمن شيء ، فبحسب العقل
 وحده ، لا شيء عدل في ذاته . كل شيء يتزعزع مع
 مر الزمن . ان العرف يخلق العدالة لا لشيء الا لانه
 مقبول . وهذا هو الأساس الغيبي لسلطانه . من يرجعه
 الى مبدئه يهدمه . لا شيء أبعد عن الصواب من هذه
 القوانين التي تقوم الاخطار . من يطعمها لأنها عادلة يط
 العدالة التي ترسمها غيبلته لا روح القانون . انها مجرد
 قانون ولا شيء اكثر من ذلك . من يود ان يفحص
 الدافع اليه يحمده من الوهن والخفة بحيث انه اذا لم يكن
 معتاداً على تأمل غرائب الخيلة البشرية فانه يعجب
 أشد العجب لان هذا القانون كان يحط الاحترام
 والاحلال في احد الأجيال . ان فن مهاجمة الدول
 وتهديمها قائم على زعزعة العادات الراسخة والرجوع الى
 منشئها للغمز في سلطانها وعدالتها . ويقال بأنه يجب
 الرجوع الى القوانين الأساسية والاولية للدولة ، وهي
 قوانين ذهبت بها عادة ظالمة مجحفة . انها طريقة
 مضمونة لفقدان كل شيء . فلا شيء عادل اذا ما وُزن
 بهذا الميزان . بيد ان الشعب يلقي أذنأ صاغية لأمثال

هذه الأقوال ؛ لذلك قال احد المشرعين الحكماء : إن مصلحة البشر تقتضي غيادعتهم في اغلب الأحيان . يجب ان لا يشعروا بحقيقة الاغتصاب . فقد أدخل فيما مضى بغير سبب ولكنه أصبح معقولا . يجب ان نصوره كشيء شرعي صحيح دائم وان نخفي بدايته اذا اردنا ان لا ينتهي في القريب العاجل .



حينما تكون المسألة مسألة إعلان حرب وقتل الألوف المؤلفة من البشر ، فان شخصا واحداً فقط هو الذي يقدر الأمر ، مع العلم بأنه ذو غرض . في مثل هذه الأمور يجب الركون الى شخص لا علاقة له بالموضوع .

كنه الأنا

ما الأنا ؟

إذا وقف شخص عند النافذة ليرى المارة ، وإذا مررت أنا من هناك فهل أستطيع ان اقول انه وقف ليراني ؟ كلا . لأنه لا يفكر فيّ بالذات . ومن يجب شخصاً لجماله فهل يجب حقا ؟ كلا . لأن الجسدي

الذي يقضي على الحسن دون ان يقتل الشخص يُنهي هذا الحب .

واذا كنتُ محبوباً لما اتمتع به من 'حكم وذاكرة فهل أنا محط هذا الحب ؟ كلا . فبوسمي ان افقد هذه الصفات دون ان افقد ذاتي . اين هي اذن هذه الأنا اذا لم تكن لا في الجسد ولا في النفس؟ وكيف يُحب الجسد او 'تُحب النفس ان لم يكن من اجل هذه الصفات التي لا تصنع الأنا اطلاقاً ، لأنها صفات فانية ؟ فهل يُحِب جوهر نفس الانسان بصورة تجريدية مهما تكن صفاته ؟ هذا الامر غير ممكن ومخالف للعدل . اننا اذن لا نحب احداً ابداً ، بل نحب بعض الصفات ليس غير .

الفكر

ما الانسان الا عود قصب ، اضعف عود في الطبيعة ، ولكنه عود مفكر . ليس من داع لأن يتقلد العالم كله السلاح لتعطيمه : فذرة من البخار او نقطة من الماء تكفي لقتله . ولكن ، حتى حينما يحطمه العالم يبقى الانسان انبل من قاتله ، لأنه يعرف ان يموت . اما العالم فلا يعلم شيئاً عما يتمتع به من تفوق على الانسان .

كل كرامتنا اذن في الفكر. فلنسع الى ان نفكر جيداً:
هذا هو مبدأ الاخلاق .

●
يجب ان لا ابحت عن الكرامة الا في تنظيم فكري.
فبالفكر افهم العالم وأتحرر من إساره .

●
استطيع ان اتصور الانسان بلا يدين ولا قدمين
ولا رأس . لكنني لا استطيع ان اتصوره بغير فكر .
فلولا الفكر لأصبح مجرد حجرة او بهيمة ..

●
عظمة الانسان بالفكر .

متفرقات

لو رأينا في منامنا كل ليلة نفس الرؤيا لأثرت فينا
بقدر الأشياء التي نراها في صحونا كل يوم .
ولو رأينا في منامنا كل ليلة اننا مطاردون بالأعداء
لتألمنا تقريباً كما لو كان الأمر حقيقياً .

ولكن ، نظراً الى ان الرؤى مختلفة جميعاً وان
نفس الرؤيا تتنوع وتأخذ اشكالاً متباينة ، لذلك نتأثر
بها اقل مما نتأثر بما نرى في حال اليقظة التي تتصف بشيء

من الاستمرار .

واحياناً نسمع من يقول : 'يُخيل إلي انني احلم .
ذلك ان الحياة حلم ، ولكنه اكثر ثباتاً وقل تقلباً .



احبُّ الفقر لأنه^(١) أحبُّ الفقر واحبُّ المال لأنه
يهيئ الوسيلة لمساعدة المساكين .

وأبقى وفيّاً للجميع فلا أقابل الأذى بالأذى ، بل
أتمنى للأشرار وضعاً كوضعي .

وأحاول ان أكون عادلاً مخلصاً صادقاً وفيّاً مع
الجميع ، ولكن قلبي ميال الى من قرّبهم الله من نفسي .
وسواء أكنت وحيداً فريداً ام مع الناس ، فانني
انصرف بأعمالي الى الله . فهو الذي سيرى أفعالي وهي
وقف له .

تلك هي مشاعري وإنني لأنوجه بالحمد الى المسيح
المخلص . فهو الذي انعم عليّ بها وجعلها في نفسي .
فأصبحت بنعمته ورحمته بريئاً من الآثام ، بعد ما كنت
غارقاً في الضعف والشقاء ، في الشهوة والاهواء ، في

(١) يسوع

الطمع والكبرياء .

●
لست ضالة أحد . والظلم كل الظلم في انت يحيطني
الناس بمشاعر المحبة ، ولو عن طوع ورغبة .
يجب ان ينصرف المرء طيلة حياته ، لطلب الله تعالى
ومرضاته .

●
يجب ان لا تحب الا الله وان لا نكره الا ذاتنا .

●
على كل عضو ان يرضى بالفناء في سبيل الجسم الذي
من اجله وحده وُجد كل شيء .

في الديانة المسيحية

انهم يكفرون بما لا يعطون . فالديانة المسيحية تقوم
على نقطتين يمسدر بالبشر معرفتها ومن الخطر ان
يمهلوما . وشاءت رحمة الله ان يعطينا دليلاً على الاثنتين .
ولكنهم وجدوا ما يدفعهم الى القول بأن الواحدة
لا تستدعي الاخرى . فالحكماء الذين قالوا لا إله إلا الله
تعرضوا للاضطهاد ، واستحق اليهود البغضاء ولاقى

المسيحيون اكثر من ذلك . فقد رأوا انه اذا كانت هناك
ديانة صحيحة على الارض فينبغي لجميع الأشياء في
سيرها ان تتجه اليها اتجاها الى النقطة المركزية .

يجب ان يكون هدف الاشياء في سيرها توطيد
اركان الدين . وعلى البشر ان يتحلوا في ذاتهم بمشاعر
مطابقة لتعاليمه . ويجب ان يكون الدين هدف كل شيء
ومركزه بحيث يتمكن من يعرف مبادئه من تفسير طبيعة
الانسان بوجه خاص وسير العالم بوجه عام .

وعلى هذا الاساس يهاجمون الدين المسيحي لأن
معرفتهم به رديئة ، فهم يتصورون انه يقوم فقط على
عبادة إله كبير عظيم خالد . وهذا هو في الحقيقة مذهب
المؤلفة الذين يؤمنون بوجود وحي déisme ويسكاد
يكون بعيداً عن الديانة المسيحية بعد الإلحاد المخالف
لها تمام المخالفة ويخلصون من ذلك الى ان هذه الديانة
غير صحيحة لانهم لا يرون ان كل شيء يُسهم في توطيد
هذه الناحية ، ولأن الله لا يتجلى للبشر بكل ما يستطيع
من وضوح .

فليستخلصوا من ذلك ما يحبون ضد مذهب المؤلفة
المذكور ، ولكنهم لن يستخلصوا منه شيئاً ضد الدين

المسيحي الذي يقوم على لغز المخلص الذي جمع الذاتين البشرية والإلهية فانتشل البشر من دنس الخطيئة ورجس المعصية ليعيدهم الى الله في شخصه الإلهي .

ان الدين المسيحي يعلم البشر هاتين الحقيقتين : الله موجود والبشر قادرون على التقرب منه ، والفساد موجود في الطبيعة وهذا ما يجعلهم غير جديرين بالتقرب . فيجدر بالبشر ان يعرفوا هاتين الحقيقتين . ومن الخطر على الإنسان ان يعرف الله دون ان يعرف ما به من شقاء ، وان يعرف شقاه دون ان يعرف المخلص الذي يستطيع انقاذه من هذا الشقاء . ان الإمام باحدى هاتين الحقيقتين فقط يؤدي الى شموخ الفلاسفة الذين عرفوا الله ولم يعرفوا شقاهم ، او الى قنوط الملحدن الذين يعرفون شقاهم ولا يعرفون المخلص .

فلنفحص نظام العالم ولنسـرَ ألا تميل الاشياء جميعها الى اثبات هاتين النقطتين في هذه الديانة : ان يسوع المسيح هدف كل شيء ، والمركز الذي يتجه اليه كل شيء . من عرفه فقد عرف سبب الاشياء جميعاً .

الذين يضلون السبيل لا يضلون الا لعدم التبصر في احد هذين الشئين . يمكننا اذن ان نعرف الله دون ان

نعرف شقاءنا ، وان نعرف شقاءنا دون ان نعرف الله .
ولكن لا يسعنا ان نعرف يسوع المسيح دون ان نعرف
الله وشقاءنا معاً .

لذلك لن احاول ان اثبت هنا بالعلل الطبيعية اما
« وجود الله » او « الثالوث الاقدس » او « خلود
النفس » ولا اي شيء من هذا النوع ؛ لا لأنني لا آنس في
نفسي القوة الكافية لكي اجد في الطبيعة ما يقنع الملحد
المتصلبين فحسب ، بل ايضاً لأن هذه المعرفة عقيمة
وغير مجدية بلا يسوع المسيح . فحينما يقتنع الانسان
بأن نسب الأعداد حقائق غير مادية ، خالدة ، ومتعلقة
بحقيقة اولى اسمها الله ، لا اظن انه يخطو كثيراً الى
الامام في طريق الخلاص . ما إله المسيحيين مجرد إله
يصنع الحقائق الهندسية ونظام العناصر ، فهذا شأن الوثنيين
والأبيقوريين . ولا مجرد إله يشمل بعنايته حياة الناس
وأموالهم ، فهذا شأن اليهود . إن إله ابراهيم واسحق
ويعقوب ، ان إله المسيحيين ، إله محبة وسلوى . انه إله
يملاً قلب المؤمن المدرك ؛ ويجعله يحس ضميراً بما به من
شقاء ، ويشعر برحمة الله الواسعة ؛ ويملاً نفسه بالخشوع
والبهجة ، بالثقة والمحبة ؛ ويجعله لا يستهدف إلا ذاته

العلية .

الذين ينشدون الله خارج يسوع المسيح ويتأملون
ما في الطبيعة ، لا يرون اي نور يشفي غليلهم او
يبلغون وسيلة لمعرفة الرب وعبادته بغير وسيط ،
وبذلك ينتهون الى الالحاد او الى مذهب المؤله الذين لا
يؤمنون بوجود وحي . وهما امران يمتقتها الدين المسيحي
على حد سواء تقريباً .

لولا المسيح ما استمر العالم ، ولكان مصيره الدمار
او لأصبح كالجحيم .

لا يستشف المرء في هذا العالم نفياً تاماً للألوهية
ولا اثباتاً صريحاً لوجودها ، بل تتراءى له الأدلة على
وجود إله محتجب . كل شيء يحمل هذا الطابع .

ليس على المرء ان لا يرى اي شيء اطلاقاً ، ولكن
ليس عليه ايضاً ان يبلغ من المعرفة مبلغاً يدفعه الى
الاعتقاد انه فهم الله ، بل ينبغي له ان يبلغ من الرؤية
حداً يجعله يدرك انه فقده .

وينبغي له ، في سبيل ذلك ، ان يرى ... وان لا

يرى

حينما أرى ما بالإنسان من عناء وشقاء ، واقطع في
الدنيا الخرساء البكاء ، وفي الإنسان متروكاً لذاته بلا
اضواء ، أشبه ما يكون بالتائه الضائع ، لا يعرف مَنْ
وَضَعَهُ في هذه الزاوية من العالم ، ولا يدري ما هو فاعل
فيها ، وما سيحل بعد الوفاة ، عاجزاً كل العجز عن
المعرفة ... حينما أرى ذلك كله يستبد بي الفرع الأكبر
والهول الأعظم كإنسان تُنقل وهو غارق في النوم إلى
جزيرة رهيبة مقفرة ثم أفاق دون أن يعرف أين مُقامه
وليس لديه أي وسيلة للخروج .

انني لأعجب كيف لا تكون نفس المرء يائسة من هذه
الحال البائسة !

وَألمح اشخاصاً آخرين بالقرب مني طينتهم من طينتي
فأسألهم هل هم أحسن اطلاعاً فيجيبونني بالنفي .

ولكن هؤلاء التائهين البائسين رأوا ما حولهم من
الأشياء الممتعة فاقبلوا عليها وتعلقوا بها . امسا انا فلم
أفعل ، وتأملت كم هناك من احتمال لوجود ما هو أكثر
مما تقع عليه العين ، وفقت هل خلف هذا الإله ما يدل
على ذاته .

انني أرى ديانات مخالفة ، وبالتالي باطلة جميعاً ما

عدا واحدة . كل واحدة منها تبغي ان يؤمن الناس بها
نزولاً عند سلطانها مرسله الوعيد للمكبرين ، مطلقة
التهديد للجاحدين . لذلك لا أومن بها . كل فرد يستطيع
ان يرسل مثل هذه الأقوال ، كل فرد يستطيع ان
يدعي النبوة . ولكنني ارى النبوءات في الدين المسيحي
وهذا ما لا يقوى عليه احد .

العباقره والقديسون

لكبار العباقره سلطانهم وجلالهم ، عظمتهم
ورفعتهم . وهم بغنى عن المراتب المادية السنية . يُروَن
بالأذهان لا بالعيان ، وهذا يكفي .

والقديسين سلطانهم وجلالهم ، عظمتهم ورفعتهم .
وهم بغنى عن المراتب السنية المادية منها او الفكرية .
يراهم الله والملائكة ، لا الأذهان المتطفلة والاجسام
المتشوفة . وحسبهم الله .

ان أرحميدس بلا جلال ، يبقى محط الإجلال ، لأنه
قدم اختراعاته للفكر ، فعلا اسمه وسطع نجمه .

والمسيح بلا مال ، ولا انتاج ، سما الى مراتب
لقداسة . لم يأت قط باختراع ولم يتقلد الملك ، بل كان

متواضعاً حليماً وطاهراً قديساً ، شديداً على الأبالسة ،
منزهاً عن المعصية . فتأملت رفيعَ جاهه وعجيب عزته
عيون القلب التي ترى الحكمة .

لقد كان أرخيدس أميراً ، ولكنه ما كان ليجتاج
ان يظهر بمظهر الامير في كتبه الهندسية .

وتألق يسوع بسنا مراتبه العلية ، ولكنه ما كان
ليحتاج ان يظهر بمظهر الملك ليتألق في سلطان قداسته .
لماذا التأسي لضعة المسيح ! ان عظمته تتجلى في
حياته وعذابه وموته وبعثه الخفي .

ولكن هناك من لا يستطيع ان يتأمل الا المراتب
المادية كما لو لم يكن هناك ما هو اعلى منها في مراتب
الحكمة .

وهناك من لا يتأمل الا المراتب الفكرية ، كما لو لم
يكن هناك ما هو اعلى منها في مراتب الحكمة .

ان كل الاجسام والفلك والنجوم والارض والممالك
لا تساوي أبسط الافكار لان الفكر يعرف كل ذلك
ويعرف ذاته اما الجسم فلا يعلم شيئاً .

ان كل الاجسام وكل الافكار وكل ما يصدر عنها من
افتاج ، لا تساوي ادنى بادرة من بواذر الهبة . فهذه

من درجة اعلى ومرتبة أسمى .
من كل الاجسام لا تُستخرج فكرة صغيرة ، فذلك
مستحيل ومن مرتبة اخرى . ومن كل الاجسام والاذهان
لا تُستخرج بادرة واحدة من بوادر المحبة الحقيقية ،
فذلك مستحيل ومن مرتبة أخرى ، من مرتبة خارقة .

دعاء المرضى

١ - اللهم يا من وسع حلمك وبرك كل شيء ، وتعاضمت
رحمتك حتى شملت عبادك المصطفين في السراء والضراء .
تلطف علي بأن لا يكون تصرفي كتصرف الجاهل وأنا
في هذه الحال التي ارادتها عدالتك . ولتكن مشيئتك ان
اتمثل فيك ككل مسيحي حقيقي الرب والآب ، مها
يكن حالي ، لأنّ تغير وضعي لا يبدل من وضعك ،
ولأنك إله حينما تُنزل العقاب والاحزان ، وحينما ترسل
السلوى والغفران .

٢ - لقد وهبتي الصحة لأعبدك فنهاكت على نعم
الدنيا . وها انت ذا تنزل بي المرض لتؤدبني . فلتكن
مشيئتك ان لا اسخطك يجزعي . لقد اسأتُ استعمال
صحتي فجازيتني بحق . فلتكن مشيئتك ان لا اسيء

استعمال عقابك . ان فساد طبيعتي بلغ مبلغاً صير نعمك
مؤذية لي ، فلتكن مشيئتك اللهم ، ان يجعل حلمك
الواسع هذا العقاب وسيلة لخلاصي . ان كان قلبي مترعاً
بحب الدنيا ايام بأسه ، فاقض على هذه القوة في سبيل
خلاصي ، واجعلني عاجزاً عن التمتع ببهاج الدنيا
لضعف الجسم او لفرط المحبة ، كي لا تكون مسرتي الا
بك وحدك .

٣ - اللهم يا من سأقدم امامه الحساب عن افعالي في
ختام حياتي ونهاية العالم !

اللهم يا من لا يدع العالم وما فيه الا ليختبر عباده
الصالحين وليجازي الآثمين !

اللهم يا من يُمهّل المذنبين ليستسلموا لمتع الدنيا الآثمة !

اللهم يا من يفصل روحنا في ساعة الموت عن كل ما
كانت تحبه في هذا العالم !

اللهم يا من ينتزعني في اللحظة الاخيرة من حياتي عن

كل ما شغف قلبي !

اللهم يا من سيهلك الارض والسماء وما عليهما ليبقى

وجهك ذو الجلال والاكرام . انك انت الجدير بالمحبة

لأنك منفرد بالبقاء .

أحمدك اللهم واشكرك طيلة حياتي لانك جنتبني
عذاب يوم عظيم بما كتبت علي من ومن مقيم .
أحمدك يا ربي وأشكرك طيلة حياتي لانك جعلتني
عاجزاً عن التمتع ببهاج الصحة واللذة في هذا العالم .
وكما انني سأكون ساعة مماقي منعزلاً عن العالم محروماً
من الاشياء كلها منفرداً بحضرتك لأجيب عن كل خفقات
قلبي ، كذلك فلتكن مشيئتك ان اعتبر نفسي في هذا
المرض كميت منعزل عن العالم منفرد بحضرتك لأسألك
توبة قلبي يا أرحم الراحمين .

في الحب والجمال

ان الجمال مقسم بألف طريقة والمرأة خير ما يحسده .
فحينما تتمتع بالفطنة تبث فيه الحياة وتظهره بأروع
شكل .

واذا ارادت ان تثير مشاعر الاعجاب ، وكانت غللك
مزايا الجمال او على الاقل قسطاً منه ، فانها تتجح أيما
نجاح وتنسل الى افئدة الرجال .

ولد الانسان للذة . وهو يحس بذلك بشعوره ولا يحتاج
الى دليل آخر . انه يتبع نداء العقل اذ يُقبل على اللذة .

ولكنه غالباً ما يحس بلواعج الحب في قلبه دون ان يعلم متى كان مبتداه .

وسواء أكانت اللذة صحيحة ام كاذبة فانها تملأ الفكر . فما ضرنا انها كاذبة ما دمنا مقتنعين بصحتها ؟ لكثرة ما نتحدث عن الحب نقع في شبابه . لا شيء أسهل من ذلك ، لأن الحب اقرب الأهواء الى طبيعة الانسان .

ليس للحب عمر . فهو دائماً في طور النشوء . وقد قال لنا الشعراء ذلك ومثلوا لنا الحب كالطفل . ولكننا نشعر بذلك دونما حاجة الى سؤلهم .

ان الحب يُكسب الفطنة ويدوم بفضلها وعليها ان نتمتع بالمهارة كي نحب . واننا لنستزف كل يوم سبل الاعجاب .

لدينا ينبوع من حب الذات يصور لنا اننا قادرون على احتلال العديد من الامكنة . وهذا ما يولد سرورنا لأن نكون محطاً للحب . وبما اننا نتمناه بلهفة ، لذلك سرعان ما نتبينه في عين الحب . فالعين ترجان القلب ولا يفهم لغتها الا صاحب العلاقة .

ان الانسان مخلوق ناقص ولا تتم سعادته الا بمخلوق

ثاني . وغالباً ما يبحث عنه في تساوي الوضع تسهيلاً
لحرية ظهوره . بيد أننا نروم أحياناً ما هو أعلى ،
ونحس بالنار تتعاطم مع عجزنا عن الإفصاح عنها .
حينما نحب امرأة دون تساوي في الوضع ، فقد يرافق
الطموح بداية الحب ، ولكن سرعان ما تكتب الغلبة
للأخير . انه طاغية مستبد لا يتحمل ابداً اي رفيق ،
وينبغي للأهواء كلها ان تنقاد له وتدعن لأمره .

في فن الاقناع

ان فن الاقناع مرتبط باستعداد الأشخاص وبوضع
الأشياء .

لا احد يحفل ان النفس تتلقى الآراء عن طريقين
أساسيين : الادراك والارادة . اما طريق الادراك
فأقرب الى الطبيعة ، اذ ينبغي لنا ان لا نفر الا الحقائق
الثابتة . واما طريق الارادة فأقرب الى مألوف العادة ،
وان كان مخالفاً للطبيعة . لأن الناس جميعاً ميالون دائماً
تقريباً الى التصديق استناداً الى الرضى لا الى الحجة .
وهذا الطريق وضع رديء دخیل ، لذلك يذمه الجميع .
كل فرد يتباهى بأنه لا يصدق بل ولا يحب الا ما هو

أهل لذلك .

لست اتحدث هنا عن الحقائق الآلهية . فالله وحده قادر على ان يضعها في النفس بالصورة التي تحملوه . لقد اراد لها ان تدخل من القلب الى الفكر ، لا من الفكر الى القلب ، ليُذل المحاكمة العقلية التي تزعم بانها هي التي تحكم على الأشياء التي تصطفها الارادة ، وليشفي هذه الارادة السقيمة التي افسدت نفسها بتعلقاتها الفاحشة . لذلك ، نقول في معرض الكلام عن الامور الانسانية بان على المرء ان يعرفها قبل ان يحبها ، وجرى هذا مجرى المثل . اما القديسون فيقولون في معرض الحديث عن الامور الالهية بان على المرء ان يحبها كي يعرفها ، واننا لا نبلغ الحقيقة الا عن طريق المحبة .

ان هذا الفن الذي اسميه فن الاقناع ليس في الحقيقة الا ادارة الحجج المنظمة الكاملة ، ويتكون من ثلاثة اقسام أساسية : تعريف العبارات المستعملة بتعاريف واضحة ، عرض مبادئ واضحة لإثبات الشيء ، الاستعاضة في البرهنة عن المعرفات بالتعاريف بصورة ذهنية دائما .

ان سبب هذه الطريقة واضح . فغير 'مجدد' ان نعرض ما نود اثباته وان نشرع بالبرهنة عليه ، اذا لم نعمد في

السابق الى تعريف كل العبارات غير المفهومة تعريفاً واضحاً ؛ وكذلك يجب ان تكون البرهنة مسبوقة بطلب المبادئ الواضحة ، لأننا لا نستطيع ضمان البناء اذا لم نضمن الاساس . ويجب اخيراً ان نستفيض في البرهنة عن المعرفات بالتعاريف بصورة ذهنية ، والا أسأنا استعمال المعاني المختلفة الموجودة في العبارات . ومن السهل علينا ان نرى ان التقيد بهذه الطريقة يسمح بالتأكد من الاقتناع . فنظراً الى ان العبارات مفهومة كلها وخالية من الالتباس بفضل التعاريف ، وبما ان المبادئ مقبولة ، لذلك اذا استعضنا في البرهنة عن المعرفات بالتعاريف بصورة ذهنية دائماً فان النتائج تعطى كل مفعولها . ان الشك لا يتطرق ابداً الى البرهنة التي تراعي فيها هذه الأحوال . ولا قوة ابداً للبرهنة التي لا تتوفر فيها هذه الأحوال .

ان فهمها وتملكها امر على جانب من الامية . وتسهيلاً للأمر وتقريباً له ، سأعطيها جميعاً في هذه القواعد القليلة التي تشتمل على كل ما هو ضروري لكالم التعاريف والمبادئ والبرهينات ، وبالتالي لكالم الطريقة التامة للحجج الهندسية في فن الاقتناع .

قواعد للتعريف: ١ - يجب ان لا نقدم على تعريف اي شيء من الأشياء المعروفة في حد ذاتها ، لدرجة انه لا توجد لدينا ابدأ عبارات اوضح لتفسيرها ، ٢- يجب ان لا نترك اي عبارة من العبارات الغامضة او الملتبسة دون ان نعرفها ، ٣ - يجب ان لا نستعمل في تعريف العبارات الا كلمات معروفة بشكل تام او سبق تفسيرها.

قواعد للمبادئ: ١ - يجب ان لا نترك اي مبدأ من المبادئ اللازمة دون ان نتساءل هل نقبل به ، وذلك مها يكن واضحاً وبديهياً ، ٢- يجب ان لا نحول الى مبادئ الا الاشياء البديهية تماماً في حد ذاتها .

قواعد للبراهين: ١ - يجب ان لا نبرهن على اي شيء من الاشياء البديهية في حد ذاتها ، لدرجة انه لا يوجد لدينا ما هو اوضح منها لاثباتها ، ٢ - يجب اثبات كل القضايا الغامضة ، وان لا نستخدم في البرهنة عليها الا مبادئ بديهية او قضايا سبق قبولها او البرهنة عليها ، ٣ - يجب ان نستبدل ذهنياً المعرفات بالتعاريف ، كي لا نخطئ بسبب التباس العبارات التي ضيقتنا التعاريف .

تلك هي القواعد التي تشتمل على كل تعاليم الحجج

الراسخة الثابتة . ومن بينها ثلاث قواعد ليست ضرورية بصورة مطلقة ، يمكن اهمالها دون التعرض الى خطأ ، بل ومن الصعب وشبه المستحيل التقييد بها تماما وان كان الكمال يقتضي تحقيق ذلك بقدر الامكان . وهي القواعد الثلاث الاولى في كل من الاقسام المبينة .

فيما يخص التعاريف : عدم تعريف اي عبارة من العبارات المعروفة تماما .

فيما يخص المبادئ : عدم ترك اي مبدأ من المبادئ دون ان تتساءل هل نقبل به ، وذلك مهما يكن واضحاً وبديهاً .

فيما يخص البراهين : عدم البرهنة على اي شيء معروف جيداً في حد ذاته .

اما القواعد الخمس الاخرى فهي ذات ضرورة مطلقة ، ولا يمكن التخلي عنها دون التعرض للخطأ . وهي تشتمل على كل ما هو ضروري لجعل الحجج مقنعة ثابتة ، وهندسية . واما القواعد بمجموعها فتجعل الحجج أكثر كمالاً .

في التحفظات الذهنية

أود الآن ان احدثكم عن التسهيلات التي قدمناها

لكم لتجنب الآثام في معرض الكلام وفي مكاييد المجتمع .
فأكثر ما يولد الارتباك في أمثال هذه الأحوال تجنب
الكذب ولا سيما العمل على التمويه . وإن مبدأ التورية
يسدي أروع الخدمات في سبيل ذلك ، وهو المبدأ الذي
ينص بحسب قول سانشيه على أنه « يجوز استعمال الفاظ
مبهمة نعتي بها غير ما في أنفسنا » .

فأجبت : أعرف ذلك يا أبتى .

واستطرد : لقد نشرنا هذا المبدأ كثيراً حتى صار
الجميع يعرفونه . ولكن ، هل تعلم كيف يجب أن
يتصرف المرء حيناً لا يجد كلمات مبهمة ؟

فقلت : كلا يا أبتى ، فقال : هذا ما كنت أقدر .
فالمبدأ جديد . أنه مبدأ التحفظات الذهنية ، يقول
سانشيه عنه : « يمكننا أن نحلف بأننا لم نرتكب عملاً
وإن كنا قد ارتكبناه فعلاً . وذلك بأضمارنا في أنفسنا
أننا لم نفعله « ذات يوم » ، أو « قبل ولادتنا » ، أو أي
شيء من هذا النوع ، دون أن تتضمن الكلمات التي
نستعمل أي معنى يُظهر فعلتنا . هذا الأمر مناسب
جداً في كثير من الأحوال ، وهو دائماً شديد الصواب
حيناً يكون ضرورياً أو مجدياً » .

فسألته متعجباً : الا يُعتبر هذا الأمر كذباً ، بل
يميناً كاذبة يا ابي ؟

فرد علي بقوله : كلا . ان سانشيه يبرهن على ذلك .
وفيليتيوس ايضاً . وذلك - فيما يقول - لأن « القصد
هو الذي يحدد نوعية العمل » . ويذكر ايضاً وسيلة
اخرى أضمن لتجنب الكذب . فيبدأ الشخص بأن
يقول بصوت مرتفع : أقسم بأنني لم أفعل ذلك قط . ثم
يضيف قائلاً بصوت منخفض : هذا اليوم . او انه يبدأ
بأن يقول بصوت مرتفع : أقسم . ثم يضيف قائلاً
بصوت منخفض : بأنني أقول الحق . ثم يتابع كلامه
بصوت مرتفع قائلاً : بأنني لم أفعل ذلك قط .

هأتذا ترى انه يقول الحق . فقلت له : لا انكر
ذلك . لكن ، ربما كان هذا قول الحق بصوت منخفض ،
والكذب بصوت مرتفع . بالاضافة الى انني اخشى ان
لا يتمتع كثير من الناس بحضور الذهن الكافي للاستفادة
من هذه الطرق . فقال لي : لقد بين آباؤنا ان العاجزين
عن استعمال هذه التحفظات ما عليهم لتجنب الكذب
الا ان يقولوا « إنهم ما فعلوا قط » ، فعلتهم ، بشرط
ان يكون قصدهم بوجه عام ان يُكسبوا كلامهم ما

يُكسبه الرجل الحاذق من معنى » .
'قل الحق . لقد حدث لك كثيراً انك شعرت
بالارتباك لأنك لم تكن تعرف ذلك . فقلت له : أجل .
فاستطرد قائلاً : ألا تقرر أيضاً بأنه من المناسب في
أغلب الأحيان ان نعفي وجدائنا من البر بكلامنا .
فقلت له : هذا اعظم تيسير يا ابني . فقال لي : اسمع
اذن الى هذه القاعدة العامة التي اعطاها اسكوبار :
« ان الوعود غير مُلزمة اطلاقاً حيناً لا يكون قصدنا ان
نلتزم باعطائها » . ولا يحصل لنا ابداً ان يكون عندنا
مثل هذا القصد الا اذا اكدنا الوعد بيمين او عقد .
لذلك ، حيناً نقول فقط : « سأفعل ذلك » نعي اننا
سنفعله اذا لم نبدل إرادتنا . فنحن لا نريد ان نحرم
نفسنا من التمتع بحريتنا .

فقلت له : يا ابني ! ما كنت لاعرف ان توجيه
القصد له من القوة ما يجعل الوعود باطلة . فقال لي :
أنك لترى جيداً ان ذلك تسهيل للتعامل على صعيد
المجتمع . بيد اننا لقينا اشد الصعوبة في تنظيم المحادثات
بين الرجال والنساء ، لأن آباءنا اكثر تحفظاً فيما يخص
المسائل المتعلقة بالعفة . ولا نخلص من ذلك الى انهم لا يتناولون

مسائل عجيبة ومتساعمة جداً بصدد الاشخاص المتزوجين
او المخطوبين . فقد تنامي الى علمي اعجب ما يمكن
تصوره من مسائل ، مما يشكل مواضيع لعدة رسائل .
ولكنني لا أود ان اشير الى اسانيدھا لانك تعرض رسائلني
على كل الاشخاص . ولا اريد ان تتاح مثل هذه القراءة
لمن لا ينفشون في الرسائل الا المتعة والتسلية .

قصة جاك ديلبا

قلت له : يا ابتي ! هوذا المقطع المتعلق بجاك ديلبا .
فقال : ماذا تعني ؟ فقلت : عجباً ! ألم تعد تذكر ما
حدث في هذه المدينة عام ١٦٤٦ ؟ اين كنت اذن
آنذاك ؟ فقال : كنت أدرس مشاكل الذمة في أحد
معاهدنا النائية عن باريس . فقلت له : يتبين لي اذن
انك لا تعرف القصة ، فيجب ان اقصها عليك . ان احد
الأفاضل رواها لي منذ ايام .

كان جاك ديلبا يعمل في خدمة الآباء في معهد
كليرمون في شارع سان جاك . ولم يكن راضياً عن
راتبه فاختلس بعض الأشياء على سبيل التعميض .
وأحسن الآباء بالأمر فزجوا جاك ديلبا في السجن بتهمة

ارتكاب سرقة منزلية . ورفعت الدعوى امام القضاء في السادس من نيسان ١٦٤٦ ، ان لم تخفي الذاكرة ، لان الراوي اشار الى كل هذه التفاصيل ليصدق المستمعون . وجرى استجواب هذا المنكود فاعترف بسرقة بعض الصحون . ولكنه زعم انه لم يسرقها ... واستشهد تبرئة لنفسه بمبدأ الأب « بوني » ، وقدم للقضاة كتاباً وضعه احد الآباء وكان قد درّسه مشاكل الذمة . بناءً على ذلك اقترح « مونروج » ما يلي : « ان كتب هؤلاء الآباء المشتعلة على مبدأ محرّم ، مخالف لجميع الشرائع الطبيعية والساوية والانسانية ، كفيل بزعزعة اركان الأُسر كلها والسماح بجميع السرقات المنزلية ، ... ان هذه الكتب لا تبرر العفو عن هذا المتهم » . ورأى ان هذا التلميذ المفرط في الطاعة والاخلاص يستحق الجلد أمام باب المعهد ، وينبغي للجلاد في الوقت نفسه ان يحرق كتب هؤلاء الآباء التي تبعث في السرقة ، ويُمنع هؤلاء من تدريس مثل هذا المبدأ تحت طائلة العقوبة ...



كان الناس بانتظار نتيجة هذا الاقتراح . وفجأة طرأ حادث أجل صدور الحكم . وفي هذه الاثناء اختفى

السجين بطريقة مبهولة ، وتوقف كل حديث عن هذه القضية ، بصورة ان جاك ديلبا خرج من سجنه ولم يُرجع الأنية .

هذا ما قال لنا الراوي و اضاف ان اقتراح السيد « مونروج » موجود في سجلات القضاء ويمكن لكل فرد ان يطلع عليه . وقد استمتعنا بهذه القصة اشد الاستمتاع .

مصادر الكتاب

BIBLIOGRAPHIE

La bibliographie générale des œuvres de Blaise Pascal, par M. Alfred Mavie, arrêtée en 1927, comporte cinq volumes (Giraud-Badin).

Parmi les innombrables études consacrées à Pascal et à son œuvre, signalons :

Boutroux, Pascal (Hachette, 1900).

L. Brunschvicg, Le Génie de Pascal (Hachette, 1925).

L. Brunschvicg, Pascal (Rieder, 1932).

Victor Cousin, Etude sur Pascal (1842-1844).

Augustin Gazier, Port-Royal au XVII^e siècle (Hachette, 1909).

Giraud, La vie héroïque de Blaise Pascal (Crès, 1923).

Hatzfeld, Pascal (Alcan, 1901).

E. Jovy, Etudes pascaliennes (6 vol., Vrin 1927-

1928).

Lhermet, Pascal et la Bible (Vrin, 1931).

Nedelgovitch, La Pensée philosophique créatrice de Pascal (Alcan, 1925).

F. Rauh, La Philosophie de Pascal (Annales de la Faculté des Lettres de Bordeaux, 1892).

Ravaisson, La philosophie de Pascal (Revue des Deux-Mondes, 1887).

Sainte-Beuve, Port-Royal, t. III.

T. Strowski, Pascal et son temps (3 vol., Plon, 1907-1909).

Sully-Prudhomme, La Vraie religion selon Pascal (Alcan, 1901).

فهرست

الباب الاول

ص

٩

حياته

الباب الثاني

٣٤

فلسفته

٣٥

الفصل الاول - محور اهتمامه : الاخلاق
الفلاسفة القدماء - الفلاسفة الحديثون .

٤١

الفصل الثاني - طرق البحث
في الرياضيات - في الفيزياء في اللاموت .

٤٩

الفصل الثالث - الضلال وسبله
١) المهندون والضالون - ٢) نقد الحواس والعقل.

٥٦

الفصل الرابع - الرهان والايمان

٦٠	الفصل الخامس - صحة الديانة المسيحية الحجج الفلسفية - الحجج التاريخية .
٦٨	الفصل السادس - كيف نفسر المسيحية نقد التفسير اليسوعي - ما هو الورد الحقيقي - بأسكال والاخلاق .
٧٨	الفصل السابع - نظرة عامة

الباب الثالث

٨٣	آثاره
٨٧	منتخبات
٨٩	الفرق بين الفكر الهندسي والفكر الأريب
٩٢	الانسان والطبيعة
٩٨	الخيالة
١٠١	خواطر متفرقة
١٠٤	خلود النفس
١٠٦	متفرقات
١٠٩	الرهان
١١٥	العقل والقلب
١١٧	القوانين والمدالة

١٢٠	كنه الأنا
١٢١	الفكر
١٢٢	متفرقات
١٢٤	في الديانة المسيحية
١٣٠	المباقرة والقديسون
١٣٢	دعاء المرضى
١٣٤	في الحب والجمال
١٣٦	في فن الاقناع
١٤٠	في التحفظات الذهنية
١٤٤	قصة جاك ديلبا
١٤٧	مصادر الكتاب

P-A-S-C-A-L

SA VIE
SON ŒUVRE
SA PHILOSOPHIE

EDITIONS OUEIDAT
BEYROUTH - PARIS

زنجبيل علمنا

- الاخفاق / جان لاكروا (١٨)
- الأخلاق والحياة الاقتصادية / فرنسوا سلييه (١٢٦) ...
- الذين يحضرون غيابهم / هاني الزعبي (١٠١)
- الانسان ذلك المعلوم / الدكتور عادل العوا (١٩)
- الانسان المتمرد / البير كامو (٥٥)
- اينشتين / الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا (١٧٠) ...
- باسكال / اندريه كريسون (٣٣)
- برغسون / اندريه كريسون (١٢)
- البنيوية / جان بياجه (١٥٤)
- تاريخ العرقية / جان بواريه (٧٥)
- تأملات ميتافيزيقية / رنيه ديكارت (١٤) ..
- تقريب الفلسفة / ميرلو بونتي (١٧٥)
- تيار دوشاردان / جان كارلس (٥٦)
- الثقافة الفردية وثقافة الجمهور / لويس دوللو)
- الجمالية الفوضوية / اندريه رستسلي (٧) ..
- الجمالية الماركسية / هنري آرفون (٩١) ...
- حلول فلسفية / عبد الجبار الوائلي (١٢٣) ..
- حوار الحضارات / روجه غارودي (١) ...

Bibliotheca Alexandrina



0351205

